كتاب اليوم

السلسلة الثقافية

مجموعة قصصية

بنات أحلامي

عزة رشاد

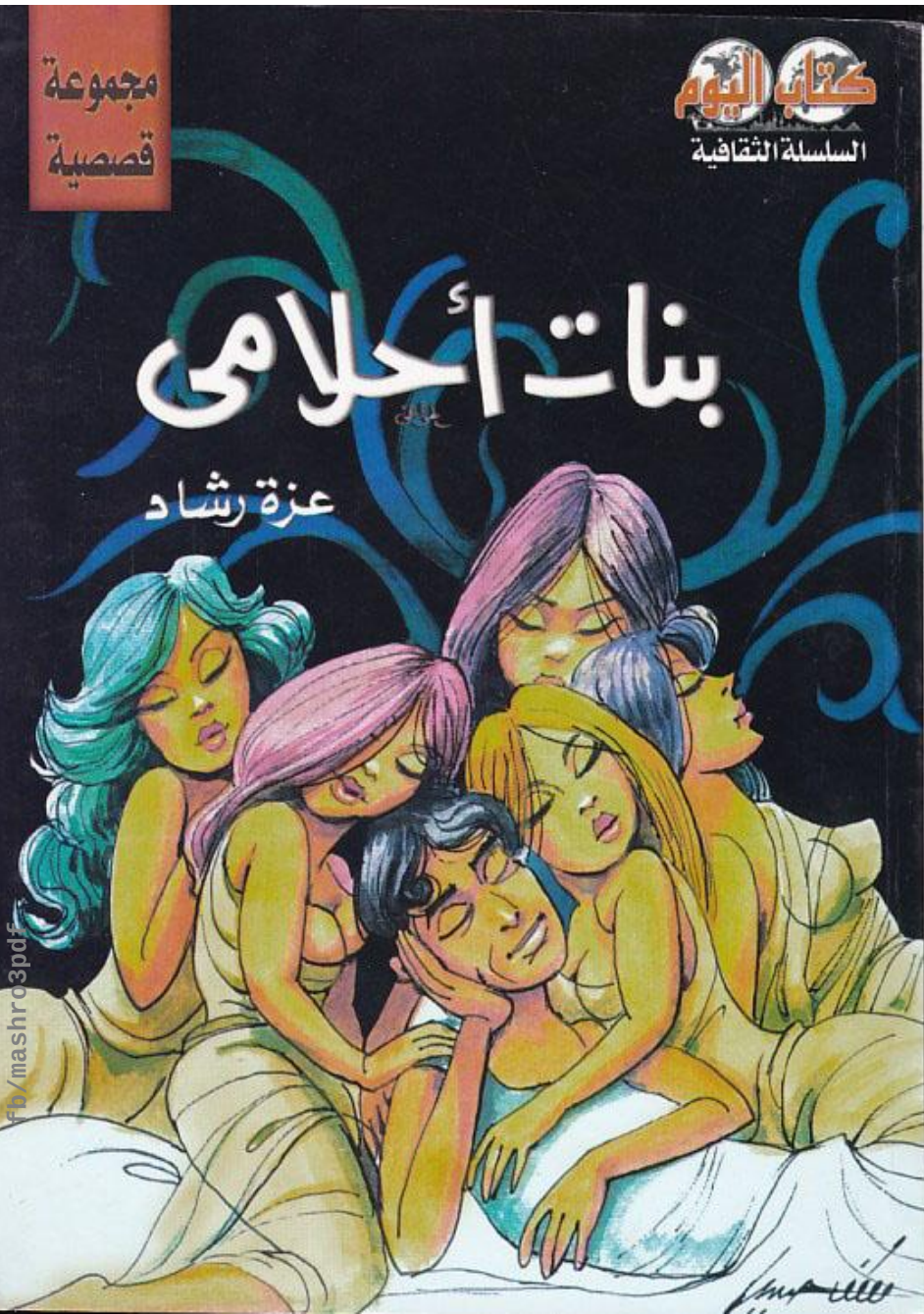

fb/mashro3pdf

بنات أحلامي

مجموعة قصصية

عـزة رشـــاد

fb/mashro3pdf

رئيس مجلس الإدارة

أحمد سامح

رئيس التحرير

ثناء أبوالحمد

الغلاف بريشة الفنان الكبير

مصطفى حسين

fb/mashro3pdf

يافؤادى رحم الله الهوى
كان صرحا من خيال فهوى
اسقنى واشرب على أطلاله
وارو عنى طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبرا
وحديثا من أحاديث الجوى

د. إبراهيم ناجى

fb/mashro3pdf

كتاب اليوم

أسسه مصطفى وعلى أمين
١٩٥١

رقم ٥٩٧
أكتوبر ٢٠١٣

يصدر كل شهر عن
دار أخبار اليوم
٦ شارع الصحافة
القاهرة

تليفون: ٢٥٩٤٨٢٢٣
تليفاكس: ٢٥٧٨٤٤٤٤

الإخراج الفنى
طارق عبد العزيز

مسئول الإعلانات
محمد فؤاد
٠١٠٠١٥٠٢١٢٠

■ أسعار البيع خارج مصر

سوريا ١٥٠ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢,٢٥ دينار - الكويت ١ دينار - السعودية ١٢ ريالاً - الامارات ١٢ درهماً - البحرين ١,٢٠٠ دينار - سلطنة عمان ١,٢ ريال - تونس ٣ دنانير - المغرب ٣٥ درهماً - اليمن ٥٠ ريالاً - فلسطين ٢,٥ دولار - لندن ٢,٥ ج ك - امريكا ٥ دولارات - استراليا ٥ دولار استرالية - سويسرا ٥ فرنكات سويسرية.

■ الاشتراك السنوى

داخل مصر	٧٢ جنيها
الدول العربية	٣٣ دولاراً
اتحاد البريد الافريقى واوروبا	٤١ دولارا
امريكا و كندا	٤٧ دولارا
باقى دول العالم	٦٢ دولارا

■ الموقع الالكترونى

www.akhbarelyom.com

■ البريد الالكترونى

kitabalyom@gmail.com

تخفيض ١٠٪ من قيمة الاشتراك لطلبة المدارس والجامعات المصرية

fb/mashro3pdf

هذا الكتاب
..... لماذا ؟

علاقة الطب بالأدب علاقة حميمة أثمرت لنا أعمالاً أدبية خالدة، فكثيرممن مارسوا الطب قدموا لنا أعمالاً أدبية رائعة فى العصر الحديث منهم: الكاتب الروسى الشهير» أنطون تشيخوف» والسير البريطانى «ارثر كونان دويل» مبتكر شخصية «شيرلوك هولمز»، والفرنسى «الفريد دى موسيه»، والألمانى «فريدرش شيلر»، وفى الأدب المصرى أسماء عديدة منهم دكتور يوسف ادريس وابراهيم ناجى وأحمد زكى أبو شادى ومحمد المخزنجى وعلاء الأسوانى وغيرهم كثير، كلهم جمعهم حب الأدب وقدمت لهم تجربتهم العملية الكثير للكشف عن كوامن النفس الإنسانية التى قدموا لها دواء للجسد ولنا دواء للروح من خلال اعمال ادبية جميلة تصف لنا مشاعر عميقة قد لا نتعرف عليها،وهاهى الكاتبة المبدعة الدكتورة عزة رشاد تقدم لنا إبداعا جديدا لها هو «بنات أحلامى» مجموعة قصصية تنسج خلالها مشاعر وأحاسيس لأبطالها ،كما تخيلتهم بمخيلة كاتبة مبدعة وطبيبة تداوى الجسد والروح.

ثنـاء أبـو الحمـد

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

فى قصة «نجوم بعيدة» التى تضمها مجموعة « بنات أحلامى» تقدم لنا عزة رشاد عظمة وأساة «توارث الحب والكراهية والغيرة»، وتلقى الضوء كما فى القصص الأخرى على حياة البشر المتنوعة والثرية، ومغزى وجودهم، والعلاقات المرهفة والمعقدة بينهم، والذكريات التى تشكل أحيانا كل وجودهم، وأحلامهم بمجتمع أكثر رأفة وعدالة، والعذابات الصغيرة الروحية والمادية. ولن تجد عند عزة رشاد موضوعا زاعقا أو صاخبا أو لافتا للنظر. إن موضوعها هو الحياة البسيطة اليومية التى تمضى من دون انتصارات استثنائية أو انكسارات مدوية. موضوعها هو حياتنا الاعتيادية التى يُعد استمرارنا فيها عملا بطوليا. خلال ذلك تمسح عزة رشاد عن أرواحنا غبار الحياة اليومية لنواجه أنفسنا بالسؤال، أهذه هى الحياة التى ينبغى أن نحياها؟!، أوأن نسأل « ما قيمة أن أمشى بدون جناحين يحملاننى إلى عوالم تعجز قدماى عن الوصول إليها؟!» كما تساءلت بطلة قصتها المسماة « قطوف دانية»، هناك حيث يسعى الجميع بعملية جراحية لاستئصال ذلك الجزء الذى يؤرقنا، أى « مخيلة الإنسان»!

مجموعة « بنات أحلامي» هى العمل الرابع لعزة رشاد، بعد صدور روايتها الأولى « ذاكرة التيه» عام ٢٠٠٣، ثم مجموعتها القصصية الأولى « أحب نورا أكره نورهان» عام ٢٠٠٥، و«نصف ضوء » عام ٢٠٠٩. كما أن لها رواية تحت الطبع بعنوان « شجرة اللبخ». وفى روايتها الأولى تحكى عزة رشاد قصة فتاة اختطفت «إرادتها

fb/mashro3pdf

وسعادتها» على حد تعبيرها. ما الذى أو من الذى اختطف تلك السعادة وأحال عمرها إلى « وردة متروكة فى الصقيع»؟ هل هى التقاليد التى حطمت قدراتها كامرأة وإنسان؟ أم أنه العدوان الأشمل الذى أجبر عائلة البطلة على هجرة موطنها بورسعيد فحرم البطلة من «البحر الذى كان لي؟» ، أم أنه العجز الإنسانى الذاتى عن مجابهة المجتمع بشجاعة وصلابة؟. تقدم لنا عزة رشاد عذابات المرأة من دون أن تسقط فى فخ « الكتابة النسوية» الشائعة التى تنظر للمرأة بصفتها كائنا خاصا تعزله طبيعته البيولوجية عن المجتمع. بل إن عزة رشاد تقول بذلك الصدد فى حوار معها « ثمة حساسية فى كتابة النساء مختلفة عن حساسية كتابة الرجال. لكن هذا لا يضفى على كتابة أى منهما أفضلية. فقط يعبر عن اختلاف ما، أما القيمة فهى للعمل ذاته الذى يتجاوز بأفقه الإنسانى جنس الكاتب ».

وتضم مجموعتها « أحب نورا أكره نورهان» إحدى عشرة قصة قصيرة تمتاز كلها بالنبرة الخفيضة التى يتسم بها إبداع الكاتبة، النبرة التى تشبه طفلة مختبئة خلف شجرة وارفة الظلال وتحاول أن تهمس إليك بالحقيقة بينما أنت تعبر الطريق، وقد تنتبه أنت إلى ذلك الصوت وقد لا تنتبه، لكن صاحبته لن تلهث وراءك لتخطف اهتمامك إلى الحقيقة. فى قصتها « الليل .. لما خلي» تضع الكاتبة أمامنا صورة لامرأة فى علاقتها بنفسها وبالعالم من حولها وبمنزلها وزوجها من خلال استعراض يوم من حياتها . أجمل ما فى هذه المرأة أنها ليست تلك المرأة المزيفة التى تخلقها أحيانا الكتابة المفتعلة بإضفاء تمرد مصطنع على الشخصية. هى امرأة حقيقية تعيش التناقض الحاد ما بين شعورها بالإحباط وما بين إدراكها لضرورة استمرار الحياة واستمرار المحبة رغم قسوة ذلك الاستمرار! امرأة تعانى كل يوم من صياح أطفالها وإهمال زوجها وعبء التزاماتها المنزلية فلا يبقى لها سوى وقت قليل تنفرد فيه مع أحلامها وذكرياتها. امرأة تفتش فى زوجها من دون جدوى عن محبة انطفأت، وتدرك فى الوقت ذاته أنه لابد للحياة أن تستمر. هذه العذوبة التى تتجسد فى ضرورة الخضوع لقانون الحياة، والأمل فى تغييرها بالمحبة، هى ما

fb/mashro3pdf

تمتاز به كل قصص عزة رشاد الآسية الهادئة الموغلة فى الروح.

ولعل قصة « نصف ضوء» التى اتخذت عزة رشاد منها اسما لمجموعتها الثالثة أن تكون واحدة من أجمل نماذج القصص القصيرة الطويلة، إذ تقوم على مفارقة وجود موهوم لشخصية « سارة» إلى أن يتضح لنا فى نهاية العمل أن « سارة» ليست كائنا حيا لكنها مجرد « عروس من القش» اختلقها فى ليل الريف خيال طفلة وحيدة.

تثبت عزة رشاد بروايتها الأولى وبمجموعاتها القصصية وخاصة « بنات أحلامي» قدرتها على السرد بكل أساليبه بروح شاعرية تنير بخفوت مواقع الأحداث ونفوس الشخصيات وتأسى لأحوالها بعطف جميل يمتاز به كل كاتب كبير حقا.

الفن والأدب على نحو ما هما حياة الانسان مكتوبة ومرسومة ومنحوتة ومعزوفة، وحين يموت الإنسان تبقى حياته الفنية عالية مثل حقيقة ولو كانت صغيرة تضيء الحقائق الأخرى حولها. وبمجموعتها « بنات أحلامي» تضيف عزة رشاد إلى سماء تلك الحقائق نجمة أخرى مشعة.

كان بوسعى أن أختصر تلك المقدمة وأن أكتفى بجملة واحدة : « أيها القارئ العزيز انتقل من فضلك إلى صفحة كذا وابدأ فى قراءة عزة رشاد»! لأن أحدا أيا كان لا يقدم الكاتب أفضل من عمل الكاتب ذاته. ها أنا أقولها : « انتقل إلى القراءة» لكن متأخرة قليلا ، فمعذرة!

د. أحمد الخميسى

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الياسمين الشائك

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

للمانجو أسماء وأصناف عديدة، وبشكل عام جميعها جميلة ومرغوبة، ينتظرها الناس باشتياق، أما فى بيتنا فربما يكون الأمر أبعد من ذلك؛ ففى حملها الأول توحمت ماما على المانجو الهندي، كان ذلك فى منتصف شهر «طوبة»، حيث ثمار المانجو حبات زلط صلبة ومالحة وملتصقة بالشجر، تحير أبى ثم أفضى بهمه إلى رجل طيب من معارفه كان مسافراً إلى بلد كان يصعب على ماما تذكر اسمه فى كل المرات التى أعادت فيها علينا هذه الحكاية بانشراح، حيث عاد الرجل الطيب بقفص مانجو هندى مازالت هى ممتنة لحلاوتها باعتبارها السبب الرئيسى فى جمال مولودتها، واعترافاً بهذا الفضل اختارت لبكريتها اسم «هند».

هند، أو «مانجايتي»، كما تناديها ماما، أجمل وأكثر سحراً من فاتنات مجلات الأزياء النسائية الشهيرة، وهذا ما جعل خطابها.. يصطفون على الباب.

أثناء حملها بى توحمت على سمك السردين، وتؤكد إنه رغم انشغال أبى بالجرد السنوى فى ذلك الوقت لم ينس حاجتها، خوفاً من أن تطلع فى وجهى وحمة بهيئة سردينة أو أن أطلع رخوة أو زفرة الرائحة، وإمعاناً فى تحاشى الزفارة اختاروا لى اسم «ياسمين»، ومع ذلك تحب ماما أن تناديني: يا سردينة يا صغيرة. كنوع من المداعبة، لكن عندما تكون غاضبة وتنطقها بكرمشة أنفها يداهمنى ذلك الهاجس، فأنزوى لأتشمم جسدى وأمرر الصابون فوق وجهى مرات ومرات.

تقرب ماما أنفها من ثمرات المانجو الكبيرة الناضجة ثم تتنهد بحسرة،

fb/mashro3pdf

- بقت كتيرة بس لا ريحة ولا طعم.

لم تقل تعليقها هذا أمام «هشام» عندما أتى حاملاً قفصاً كبيراً قبيل العيد الفائت، بل شكرته وأثنت على كرمه، وبعد ذهابه ارتفع صياحها بالدعاء على الغش والغشاشين.

ماما كانت تعامل هشام بلطف، ما جعله يتخلى عن خجله الريفى وينطلق فى الكلام والضحك كأنه بين أهله، تبتسم وهى تأخذ من يده «دكر» البط وكريات الزبدة البلدي، ثم تبدأ ساعاتها بالمطبخ لتعد لنا أشهى الطعام، ينتهى من الأكل ويقبل يدها ممتناً، فيما تصعد روائح المحمر والمشمر إلى أنف «أم حمزة» بالطابق العلوي، فيدفعها الحسد إلى أن تستوقفنى عند البقال بأسئلتها الخبيثة عن موعد زواج هند، عندئذٍ كانت الرائحة الزفرة تهاجمني، فأتكمش فى نفسى وأتلعثم عاجزة عن الرد، كان ذلك عندما كنت صغيرة، الأن صرت أتراجع إلى الوراء باشمئزاز من رائحتها التى لا تقارن بعطر الياسمين الذى صرت أضمخ به ثيابى كما أمعن فى غيظها بنظرة مناكفة، مختلفة عن الأخرى المهمومة فى هذه الصورة التى التقطها لى هشام لحظة أهدانى الموبايل عندما انتبه لشغفى بالتصوير، فقد كنت لحظتها أفكر فى الوقت الذى سيمر قبل أن يتراجع هذا الكريم عن تقديره لتلك الفضيلة، ثم سرعان ما أنسانى فرحى بالكاميرا مثل هذه الهواجس. فى الصورة التالية تظهر أطراف أصابع هشام وهى تضغط يد هند أثناء إلتقاطه الأطباق منها،أماهذا الجلاديولس الفاتن فقد اخترته من باقات «سعيد». كان طيباً، رومانسياً،ومتيماً بهند، كأنه يقدم لها مع الورد قلبه، فيما هى تبتسم ابتسامة متكلفة ثم ترمى الورد بضجر بعد ذهابه، فتنحنى ماما لتلملم

fb/mashro3pdf

الوريقات القطيفية المتطايرة، ما اضطرها، بعد فترة، للصياح فى وجهه مؤكدة، أن شراء الورد حرام.

- مالوش فايدة يا حبيبي. يدوبك سواد الليل ويكون دبل.

حملق، بحرج، فى الورود، ثم قرر أن يتركها فوق أغصانها ويقطع الطريق إلى مدرستى ثم إلى مصلحتى الكهرباء ومياه الشرب ليسدد فواتيرنا المتأخرة، لكن لا الورد ولا الإيصالات نجحا فى تغيير ابتسامة هند المتكلفة. تطوح شعرها الأسود الطويل فيهف العبير الأسر لثمرة مانجو ناضجة على عودها تنتظر القطاف، تتعلق بها العيون والقلوب فيما هى تخطو بعينيها الناعستين كالتائهة، تبحث ولا تعرف عما تبحث، تمضي، بتأرجحات مروعة فى المزاج، مرحة فى بعض الأوقات، وضجرة فى أغلبها، تغضب لأقل سبب وتزمجر وتصب كل ذلك عليَ أنا وماما التى تحتملها بسعة صدر مذهلة، فيما أجدنى ألوذ بكاميرتى التى لم تعد تفارقني. هند لم تحب التصوير، بل تدمن مطالعة صورتها فى المرآة من زوايا مختلفة - مع أنها جميلة فى كل الحالات !! - فهى لا تهتم سوى بنفسها ولا تطيق الوقوف بالمطبخ لأكثر من خمس دقائق، الشيء الآخر الذى يستهويها هو سماع الأغانى العاطفية، إذ تتماهى مع أحلام يقظتها، وترسم صوراً لفارسها المنتظر، الذي، لم تجده فى هشام الذى أظهر تخليه عن خجله طابعه الريفى المغاير لأحلامها، ولا فى سعيد الهائم بحبها حد حصارها وإضجارها، بينما أنا أحببتهما كليهما، كما أحب «كريم» الآن وتمنيت أن تتزوج أياً منهم. ماما أيضاً شملتهم بلطافتها لأنها طيبة ولطيفة مع كل الناس، عدا.. عندما يتطلب الأمر غير ذلك، مثلما حدث مع «رءوف اللبان» عندما - بقدرة قادر - انقلب من ملاك إلى شيطان. هند،

fb/mashro3pdf

من البداية، لم تحب رءوف، بل اعتبرته دنيئاً وصدقت ما لم تصدقه ماما عن بودرة السيراميك وسائل الفورمالين وغيرهما من مواد ضارة يقول الناس إنه يغش بها اللبن.

تقول ماما إن الخطوبة اختبار، كلهم يدخلون بيتنا بفرح، تطيب الليالى وتعمر السُفرة بصنوف الأطعمة وترن الضحكات، وأعتاد على الواحد منهم كأنه أحد أقاربنا، إلى أن تظهر هى بتلك السحنة الغامضة:

- شقة تمليك باسمها. أبوها زارنى ليلة امبارح وقال كده.

عندئذٍ يتقوض الحلم، وتعلّق نتيجة الامتحان.. لم ينجح أحد.

لا أعرف سر زيارته لماما فى هذه الأوقات، عندما يبدأ الواحد منهم اعتياد البيت، ويحاول أن يأخذ أكثر مما تسمح به لجنة الامتحان.

عادة ما تترك هند خدّها للواحد منهم يقبله، كأن هذا الخد لا يخصها، وفى أغلب الأحوال تلتفت وتمسح القبلة باشمئزاز، تحدث هذه الأمور من وراء ظهر ماما بالطبع، فحتى المرة الوحيدة التى كانت فيها قريبة بحيث وقعت القبلة فى مرمى بصرها تماماً، لم يبد أنها رأتها. كانت المسكينة سرحانة تفكر بما بينها وبين أبي، فهمومها تفوق طاقتها، أسمعها أحياناً تلوم أبي:

- إخص عليك يا عبد الرحيم. ارتحت وسبتلى الهم ده كله لوحدي.

وأحياناًتنتحب: اللى مات جوزها.. يا غلبها وعوزها.

فتبدو لى ضعيفة فى هذه اللحظات، وينسدل جفناها فوق عينيها،

fb/mashro3pdf

وهو نفس ما يحدث حينما تعاملها هند بتطاول وقلة احترام، وتصدر لها أوامر واجبة التنفيذ، بإعداد عشاء مخصوص أو بغسل ثيابها، فتطيع أوامرها،بينماأمضى أنا وراءها كظلها،تدفعنى شفقتى عليها إلى تحمل الأعباء عنها، وفى بعض الأحيان أحس بغصة عندما أراها تعود وتتذلل لهندعلى هذا النحو العصى على التبرير، أو عندما تكرر عليّ حكايتها المحفوظة عن الداية الغشيمة التى ضغطت صدر بكريتها الطرى وهى تسحبها من رحمها كسبب يجعل هند.. غلبانة «خلقها ضيق». تقول ذلك فيماينسدل جفناها أكثر وتمشى كالمغمضة، على خلاف باقى الأوقات.فما أن يعلن الواحد من هؤلاء العرسان عجزه عن تقديم مهر هند كما طلبه أبي، حتى تتسع عيناها ويتعاظم صوتها وتستميت فى الدفاع عن حقنا فى الذهب...

- إنت اللى فسخت الخطوبة. تبقى الشبكة من حقنا يا ابن الأصول.

- أنا اللى فسخت!!

رءوف هو الوحيد الذى لم يطلع من أولاد الأصول، إذ رج صوته البيت،

- حقكم!! آه يا نصابين يا نَور!!

اضطرت فى النهاية أن تتنازل عن الشبكة، وابتلعت إهانات غشاش اللبن كى تلملم الموضوع ولا ننفضح فى الحارة.يكفينا طول لسان أم حمزة، إضافة إلى ما يبعثه مشهد الشقة - التى يتناقص، بالأخص، القطع شبه الثمينة من أثاثها - من تشاؤم لازمنا إلى أن دق «كريم» الباب لكى يخطب هند، فعادت لبيتنا الروح. لم نحب رءوف، أما هشام وسعيد فكانا

fb/mashro3pdf

طبيبين، تركا كل شيء وخرجا من سكات، وبعد أكثر من عام صافحنى هشام بمودته المعهودة عندما التقيته مصادفة فى الشارع، ولسوء حظى كان الموبايل فى يدي، ووقعت عينه عليه، لا أعرف بمَ فكر؟ فهو لم يقل شيئاً. أنا أيضاً لم أقل شيئاً لماما عن الحرج الذى داهمنى فى هذه اللحظة، يكفيها ما تعانيه، فعندما أشكو لها لسان أم حمزةالطويل تجحظ عيناها وهى تؤكد: ماحدش له حاجة عندنا.مؤكدة أن أحداً لم يساعدنا فى الأيام الصعبة.

لم أسألها بكم باعت الذهب؟ وهى لم تذكر، فى أى مرة، أنها باعته.

فى الشرفة التى تحتل حزم الثوم والبصل أحد جدرانها، يوجد على أرضية جانبها الآخر كرسى من الخيزران كان يجلس عليه رجل أسمر طويل القامة، ذو وجه مستطيل وعيون عسلية، اعتاد أن يقص للناس أمتار الكستور ويزيد عليها عدة سنتيمترات وابتسامة بشوشة. كان طيباً وكريماً، واسمه عبدالرحيم، يحرص، فى أغلب الليالي، على أن يجلسنى على حجره ويحكى لى حواديت «عقلة الصباع» و«على بابا والأربعين حرامي» ويهدهدنى حتى أنام. لم أكن أستوعب كل حكاياته لكن البهجة التى يدفعها حنانه بداخلى كانت تجعلنى أقهقه برنين عالٍ.كنا فى وجوده نصحو وننام بارتياح ونضحك من قلوبنا، الآن تبدو ضحكاتنا غريبة وجوفاء، وأضبط نفسي، فى سكون الليل، حريصة على أن لا تصدر منى أية حركة،بينما أراقب هند تتقلب فى فراشها صامتة، وأصغى لوقع خطوات ماما الهامس فى الصالة. فأشعر بأننا شركاء فى لعبة، تتظاهر كل منا بأن كل شيء على ما يرام، كأن هناك من وعدنا بأننا إذا فعلنا هذا سيصبح كل شيء على ما يرام بالفعل، لكنها ليست غلطة ماما، فقد

fb/mashro3pdf

مرض أبى ثم مات ولم يترك سوى نصيبه فى دكان القماش الذى يستأثر به عمى الأن ويرمى لنا أول كل شهر مبلغاً ضئيلاً متعللاً بالسوق النائم والحال الواقف، بينما نسمع من الناس عن أرباحه الوفيرة التى يبددها على نزواته ويدعى لزوجته -التى يخافها موت ويعمل لها ألف حساب - أنه يقتل نفسه فى الشغل!! لم تكن غلطة ماما فقد عملت كل ما فى وسعها من أجلنا، لذا كرهتُ رءوف الذى سبها وفرّج علينا الحارة وتسبب فى شماتة أم حمزة، وبتدبير الله فقد نال جزاءه عندما أغلقت الشرطة دكانه بالشمع الأحمر، أم حمزة هى الأخرى ما كان يجب أن تثرثر بأكاذيبها مع البقال أو أن تتسحب على السلم وتتنصت على جيرانها، لو بقيت فى بيتها، كافية خيرها وشرها، مثل الجارات الأخريات، لما انزلقت فوق قشرة الموز وانكسرت ساقها، لو أنها فقط أبقت فمها مغلقاً..!!

مع أن الفرق بينى وبين هند لا يزيد عن أربع سنوات إلا أن ماما تحسبنى مازلت الصغيرة التى تختبئ فى طيات الستارة أو تحت المائدة، تحسبنى لا أفهم ما بينها وبين هند من أسرار تجعلها تتوقف عن الكلام عند ظهورى أمامها أو تسارع بصرفى، على الفور، وهو ما كان يغضبني، لكننى كنت أمسك لسانى عن الصياح: أنا هنا، ربما لا أكون قليلة النفع إلى الحد الذى تحسبينه. الأن لم أعد أغضب بل أضحك منها لكونها لا تعرف شيئاً عن أسرار سردينتها الصغيرة، وفى الغالب كنت سأظل صغيرة بل لقمة سائغة لولاخبرات مدرسة الثانوى وحكايات بناتها التى أكسبتنى الكثير من الحيل والخبرات، يعيش بعض الناس عمرهم كله دون أن يدركونها، إضافة إلى مهارات أخرى،أكثرها إثارة فنون الدفاع عن النفس وأكثرها مكراً لعبة تحويل البوصة إلى عروسة بأبسط الأدوات، مادام هناك دماغ

fb/mashro3pdf

يكدح، حيث بلغت من المهارة حد أن الأمر لم يعد يستغرق سوى دقائق خمس أقضيها فى بئر السلم، أخرج، بعدها، للعالم فى غاية الجمال ولا أنسحق أمام زميلاتى المتكبرات بجمالهن كما كان يحدث فى العام الأول لدخولى المدرسة، الآن صارت لى مكانة انتزعتها بكدي، أما الشيء المؤسف فهو أننى وحيدة، لا صديقة لي، ولا فتى أتخذه فارساً لأحلامي، رغم أن العروسة الجميلة التى نجحت فى أن أكونها تلفت أنظار الشبان، لكن السردينة التى تسكننى أعلنت تأجيل ذلك حتى إشعار آخر، ثمة شيىء داخلى يفضل الابتعاد والاختباء وراء هذه الكاميرا التى صارت صديقتي.. اللدود.

أقضى اليوم أتجول فى الممرات وألتقط الصور، وثقت مواقف طريفة وأخرى طائشة للبنات والمدرسات، أشياء لا يصدقها أحد، ولم أُرِها لأحد، لكن استحواذى عليها يمنحنى شعوراً بالزهو وأحياناً بالأمان.

أكثر من نصف الصور لأمي.. وداعة عنقها المسترخى أثناء النوم، مهارة أناملها الرفيعة المتفننة فى تقطيع الخضار، وتنظيم قطع الغسيل فوق الحبل، الرقة التى ترتل بها شفتاها: «من شر حاسد إذا حسد» وهى تسرح شعرها الطويل الذى ابيض أغلبه، تموجات ذراعها حاملة المبخرة تدور بالشقة قبيل صلاة الجمعة، قطرات الدمع المنزلقة فوق كرمشات جلد ما تحت عينيها حينما ترفع صوتها بالدعاء على من ظلمنا، ضحكتها الذابلة أثناء حكيها عن أبي، ثم عضها لشفتها وهى تلوم نفسها لأنها لم تكتشف، مبكرا، مرضه. لقطات جميلة لا يفسدها إلا اقتحام هند الذى يجعل يدى ترتعش فتأتى الصورة مهتزة ويظهر وجه هند، على الأخص، منبعجاً من أحد جانبيه بشكل يضحكنى ويغيظها، لذا عوضتها بصورة منفردة، رائقة..

fb/mashro3pdf

بفرع ياسمين أضاء وجهها وشعرها وجعلها أكثر رقة من ملكة متوجة تأمر فتطاع. طلبتُ منها أن تصورنى فلم تفلح، بينما نجحتُ أنا فى تصوير نفسى بكادرات تظهرنى فى غاية الجمال حازت إعجاب زميلاتي، وعمدتني، لديهن، كفنانة حقيقية، أما أحب الصور لقلبى فهى التى تظهر ذكاء سردينة صغيرة تنجح فى المروق سالمة من هجوم شرس لعدد من الدلافين الضخمة. التقطتها فى يوم رحلة مدرسية لمتحف الإسكندرية للأحياء المائية. أعجبت مُعلمة الفلسفة بهذه الصورة، لكنها بعد أن قلَبت باقى الصور شحب وجهها، وأرغمت نفسها على الابتسام وهى تثنى على موهبتى الفطرية، ثم رمشت عينها مرتين قبل أن تتنهد وتحذرنى من مغبة عدم إدراك الهدف الأخلاقى للفن. لا تعرف هذه المرأة كم أحبها، ولا تعرف كم أكره أن أكون مثلها، يُحملها زملاؤها حصصاً زائدة وأعباء فوق طاقتها فتقبل صاغرة، تسمعهم يتندرون على طيبتها أو «عبطها» فتبتسم متظاهرة بالصمم ثم تميل كى لا يرى أحد بكاءها على الأخلاق التى انعدمت، أو تأتى لتعطينى محاضرة أخلاقية لمجرد أنها ضبطتنى بإصبع «الروج» فى يدى أعلم إحدى زميلاتى درساً فى أسرار التجميل. لا أريد أن أكون مثلها، ولا أريد أيضاً أن أكون مثل أمى رغم حبى التعس لها الذى يجعلنى أتقبل إصرارها على معاملتى كطفلة، أتقبل سماحها لهند بأشياء كثيرة تمنعها عليّ، فحتى المرة الوحيدة التى رأتنى فيها بالماكياج كان ذلك رغماً عني، كنت مغلقة عليّ باب غرفتى كى لا تشعر بي، وأصغيت، رغماً عني،لنقارهما الصاخب بشأن كريم:

- خلاص روحى اتجوزيه. واحنا لنا ربنا. قالت ماما، فردت هند:

- لأ مش هأسيبكم. بس لازم نرجعله الشبكة. بلاش تصغرينى قدامه أكثر من كده.

fb/mashro3pdf

بدأ الموال المضني. لا تريد ماما أن تقر بأن هند أحبت كريم بالفعل، فهو الوحيد الذى صارت قبلته تعنيها، الوحيد الذى أحسستُ منذ اللحظة الأولى لدخوله بيتنا بقدرته على تلبية شروط قلبها وتمنيتُ أن تتزوجه وتريحنا، ولم يتطلب الأمر سوى لفت نظره لطبيعتها الحالمة المختبئة وراء كبريائها اللعينة، لكن ماما عصبت رأسها بعصابة داكنة وانحنى ظهرها وبدأت تشكو من قشعريرة بعمودها الفقارى بمجرد أن طلب كريم التعجيل بالزواج، أنا أيضاً عايشت كرنفالاً من المشاعر، بدأ بالتشفى فى هذه المتكبرة، ثم الحسد الذى ضبطته يغشانى وأنا أراقب العاطفة المتأججة أثناء تبادلهما قبلات ندية، طويلة ومدهشة، وانتهى بالشفقة على الوجه القمرى الذى انكمش ودكن مثل رغيف بائت؛ وبالرغم من أن معاناتها قد قللت من تطاولها على ماما إلا أن هذا لم يبد مبشراً بخير، فالنظرات الجهنمية التى راحت ترشقها، صامتة، بها كانت تنذر بانفجار وشيك ومدمر لثمرة مانجو جميلة وناضجة.. ولا عقل برأسها. نزلت هند على بوزها وأربكت ماما التى أغلقت عليها باب غرفتها ونامت طويلاً ثم صحت وأملت على كريم طلبات أبى المعتادة.

- زيه زى غيره. قالت ماما، فردت هند بانفعال:

- لأ مش زى غيره. إنتى اللى ربنا عامى عنيكي.

أعرف أن ماما كثيراً ما تغمض عينيها، لكنها ليست عمياء، بل شاخت فجأة، فقدت حيويتها المعهودة وحماستها لإعداد المأكولات الشهية، وراحت تسهو وتجرح أصابعها وهى تقطع الخضار كما رأيتها تغلق أذنيها متألمة من بقبقة الخنفساء المستوطنة للبدروم منذ سنوات، التى اعتدنا

fb/mashro3pdf

صوتها كموسيقى تصويرية مكملة لصورة بيتنا، لذا أزعجنى تمادى هند فى إهانتها وهذا ما جعلنى أندفع خارجة من غرفتى وأصيح غاضبة:

- سيبيها تتجوزه وتريحنا. أنا معاكي.

حدقت إلىّ، بفزع، بداية من المشابك اللامعة بشعرى حتى طلاء أظافر قدميّ - لسوء الحظ كنت قد بالغت لأشغل نفسى عنهما - ثم صاحت:

- إيه الزفت أللى إنتى عاملاه فى روحك ده!!؟ إجرى إغسلى وشك.

مازال لسانى يحتفظ بعطر الياسمين ممزوجاً بطعم بودرة ظل الجفون وأحمر الخدود التى أسألها ماء الصنبور فى تلك اللحظة، فيما كانت أذنى مشرئبة نحو صوت أمى وهى تبتلع إهانتها وتستكمل توسلها إلى هند.

كثيراً ما أغضب من أمى وقد أثور عليها، قد أتوعدها فى خيالي، لكننى لا أسامح من يسئ لها، وبفضل اللّه فقد نال كل منهم جزاءه العادل دون أن تعلم هى شيئاً عن إصبع الموز المغربى الذى أكلته بتلذذ ثم رميت قشرته أمام الباب، أوعن الشكاوى التى حملها البريد وأسلاك التليفونات إلى مصلحة الغش الصناعى والتجارى وجمعيات حماية المستهلك، ثم ظهر عقبها البوليس وأغلق دكان رءوف، ما كبده أضعاف ثمن الشبكة أتعاباً لمحام عُقر حتى أخرجه من القضية بسلام، وقد احتفظت، على سبيل الذكرى، بصورة للشمع الأحمر على باب دكانه، أما عندما سيأتى عمى ويسلم أمى حقنا كاملاً فسأشاركها دهشتها وفرحها ولن أذكر شيئاً عن العاملة الشابة الغلبانة التى أحتفظ بصورة عمى باركاً فوقها فى خلفية

fb/mashro3pdf

الدكان. كانت إرادة الله وحده أن تذهب سردينة صغيرة لتطلب منه مبلغا بسيطاً من المال، ولو على سبيل القرض، هكذا أوصتها أمها، فوصلتْ فى هذه اللحظة كى ترى ما رأت، لم تسمح لها أخلاقها بإخبار زوجته عن أفعاله المشينة، وكان الأفضل أن يعيد المال لأصحابه.

فى الأيام الآتية سنرتب، أفضل ما يكون، لزفاف هند حتى بيت زوجها وريثما نعود، أنا وماما، لبيتنا، سيكون موسم الياسمين على الأبواب.

fb/mashro3pdf

عن ترميم الأحلام

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ما زاد الطين بلة هو هذا العَرج!!

أهذه هى البنت التى طالما تحاكوا ووصفوا كيف تفنن فى إبداعها خراط البنات؟!! من لا يعرفها سيحتاج لكثير من التأمل كى يكتشف فيها ما يشى بجمالٍ قديم. تبدو أيضاً هادئة بشكل مغيظ، أين راحت شيطنتها القديمة!؟ هى التى كانت تهبط من أعلى كأنها تطير، الأن تزك بساقها اليسرى حيناً وباليمنى حيناً آخر.

مددت يدى ومسحت دمعة من فوق خدها الأيمن وتركتُ أخرى توقفت فوق خط شفتها العلوية. ضغطتُ يدها وهمست، كنتى فين؟ وفيما كانت رائحة المطهرات تهف من البلاط اللامع راحت نظرتها تخترق عينيَ طويلاً كأنها ستجيب على سؤالي، لكنها ظلت صامتة، تراقب شرخاً فى زجاج إحدى النوافذ ببهو المستشفى حيث التقيتها مصادفة، كانت ترتدى معطفاً أبيض، فرحت لأنها حققت حلمها وصارت طبيبة، لكن فرحى تبدد بعدما لاحظت تغيرها.

مشيت طويلاً بعد أن ودعتها، كان بالجو رائحة شواء زادت من ضيق صدري.فى الليل تعمدت إلهاء نفسى عن التفكير بها. شاهدت مباراة كرة قدم وأنا أتناول عشاءً خفيفاً، آملاً فى نومٍ هادئ.

..... وراء الغيطان المحتشدة بغابة من عيدان الذرة كانت هناك رقعة أرض تكسوها نجيلة تضوى ببريق فضى عكسه عليها ضوء القمر. «ندى» تبدو يافعة - تفيض بالجمال والحيوية كما ظلت بذاكرتى طوال السنوات التى فرقتنا - تجلس مستندة بظهرها إلى جذع كافورة ضخمة، فيما يفترش فستانها الأبيض الأرض مشكلاً نصف دائرة حول ساقيها

fb/mashro3pdf

النحيلتين. كنت «يافعاً» أجلس قبالتها وأصغى إلى غناء بعيد:

يا بت يا أم غويشة فضة قلبى بجمالك يتوضا
يابت يا أم غويشة دهب العقل من حسنك ذهب

سبحانه ربى اللى وهب

أخرجت من جيبى أحجار السيجة وبينها كنت قد دسست حبة توفى بلون الفراولة، غافلتها واقتربت لأقبلها فى وجنتها فغافلتنى وأخذت حبة التوفى بين أنملتيها وراحت تلعقها باشتهاء، حتى اصطبغ لسانها وشفتاها بلون الفراولة. فرُحت أضحك منها وضحكت هى أيضاً.

صحوت غارقاً فى عرقي، تضمخ أنفى رائحة الفراولة، وتكدرنى صورة عرجها الحالي. كانت الشمس قد تربعت فى كبد السماء ولم يكن لديّ ما أفعله.

اخترت للقائنا حديقة تطل على النيل، كان قرص الشمس قد انزلق مسيلاً فوق المياه ألوانه الشفقية، طلبت كوبيّ عصير فراولة فقالت إنها لم تعد تحبها، بل تفضل القهوة، أصغت إليّ بنصف اهتمام وأنا أحكى عن حياتى خلال السنوات التى فرقتنا، بينما هربت منى الكلمات التى ادخرتها لهذه اللحظة. لا أعرف كيف هبط الظلام فجأة فأخفى روعة المشهد الذى كنت أعتمد على رومانسيته لمساعدتى فى البوح؟ لا أعرف أيضاً لمَ كانت القهوة سوداء ومرة إلى هذا الحد؟سألتها عن نفسها فلم تقل شيئاً، بل أمعنت فى احتساء القهوة، أثنيت على طموحها، فلم تبد مسرورة، تذكرت كلامها القديم عن أطفال يولدون على يديها، تحملهم من أقدامهم وتربت ظهورهم فتنطلق منهم صيحات الحياة، انتبهت على

fb/mashro3pdf

صوتها تقول إنها تنوى التخصص فى مجال التشريح كى «تكفى نفسها شر التعامل مع.. الأحياء»، فاحت من الفنجان رائحة غريبة تشبه الفورمالين، فتركته ولم أستطع منع نفسى من السؤال:

- إنتى بتعرجى ليه؟

بفزع، تركت الفنجان وفتحت عينيها على آخرهما وصاحت مستنكرة:

- أنا بأعرج! إنت اللى مابتشوفش.

ثم نهضت ومشت بنفس العرجة التى تشهد عليها عيناى التى سيأكلها الدود ذات يوم آمل ألا يأتى قريباً.

همست لنفسى بعد أن افترقنا: يا ويلى من هذه البنت!

بذلت جهدا حقيقياً فى المساء كى أتوقف عن التفكير بها. أعددت عشاء معتبراً، بيض بالبسطرمة وجبن بالفلفل والطماطم وأكلت بنهم، يناسب مباراة المصارعة الحرة التى اخترت مشاهدتها، حتى أتخمت، آملاً أن أنام كالقتيل متخلصاً من إلحاح طيفها.

..... جالسان لم نزل فوق نفس النجيلة، وكنت قد شبعت من تقبيل وجنتها، وكانت قد كفت عن لعق حبة التوفى وألقت بها لطائر أبى قردان حط قريباً منها، فمد منقاريه والتقطها، ثم دحرجها داخل فمه فتابعت أعيننا النتوء وهو يتحرك داخل رقبته الطويلة حتى اختفى مستقراً، فيما أظن، داخل تجويف بطنه الكبير.

سألتني: ليه مابناكلش أبو قردان زى الحمام والفراخ؟

fb/mashro3pdf

أجبتها : لأن لحمه مر.
ضحكت بانفعال : يا عيييني(كده اللحم الحلو مظلوم.
ضحكت أنا أيضاً، حتى أوقف ضحكنا عواء بعيد يقترب.

صحوت مكبوساً لا أقوى على فتح عينيَ، وجدت أنبوبة البوتاجاز فارغة «لن أهنأ بكوب شاي» كما لم أجد زيتاً لطبق الفول، ولا ليموناً. كان كل شيء ناقصاً، وبلا معنى.

فى الكابوس التاسع ظهر «عارف أبودراع»، بجسده الضخم وعينيه العدائيتين. أتى من وراء «تلة وردان» تسبقه زوبعة من الغبار، وما أن رآنا حتى جأر بعواء مرعب وهو يطوح الهواء بجنزير حديدي، خشيت أن يبرحنى ضرباً كما فعل بالولد «همام» ابن الجيران بحجة تأديبه، راح يركله بقسوة وشراسة جمدانى مكانى مكللاً بالخجل من جبنى - لذا وجدتنى أحدق إلى عضلاته الجرمة وأفكر بأن ضربة واحدة منه ستجعلنى «بسيسة».

فى الكابوس الحادى عشر قيدنى إلى جذع الشجرة وراح يضربنى دون رحمة، ودون أن يأبه لصرخات ندى، فأحسست بالدنيا تدور بى ولم أعد أرى سوى كفه الغليظة بأظافرها الحيوانية. ازداد عنف ضرباته حتى أظلمت على إثرها الدنيا، وعندما عاد النور لم أجده ولم أجدها.

أخبرونى بعد أن تعافيت أنها وأمها غادرتا البلدة لتقيما عند الجد المريض فى بلدته البعيدة إلا أن الشك داخلني، فقط الآن، بأن يكون لعارف أبودراع يد فى رحيلهما المفاجئ، ربما ادعى لأمها أشياء سيئة عنى وعنها، فهو «صايع» شقي، يستأجره البعض للبطش بخصومهم، لذا

fb/mashro3pdf

يخافه أهالى «منية وردان» ويكرهونه، ويُكرهون على إظهار الاحترام له، وبالنسبة لى فأكثر ما آلمنى هو أنها لم تسعَ للاطمئنان عليَ بعد علقة الموت التى أخذتها تلك الليلة، ولم تهتم بترك عنوانها الجديد لي، غير أن طيفها أبى أن يفارقني.

طوال هذه السنوات كانت تداهمنى غصة كلما تذكرت ما حدث، وكنت أجابهها بلعبة للنسيان ابتكرتها كى أزيح ما يثقل جوانحي، وبالفعل نجحت، خاصة بعدما قطعت رجلى من «المنية» وعملت بالمدينة القريبة. ما ظل عالقاً بذاكرتى من ذلك الرجل هو عقفة أنفه الغريبة التى أتيح لى رؤيتها عن قرب لحظة غرزه لأظافر يسراه فى لحم كتفى كى تتمكن يمناه من لكمى كما ينبغي. لم أسعَ وراء أخباره، بل عرفت، مصادفة، أنه يقضى لياليه مع رفاقه الأشقياء فى خنٍ مريب على تخوم المدينة، وبدا لى من حسن حظى أنى لم أضطر للمرور بحذائه قط.

ذهبت إلى المستشفى مبكراً وسألتها عن تلك الليلة، وعن ذلك الرجل، فانكمشت تحمى جسدها بذراعيها، أحسست بحاجة إلى ضمها إليّ، أردت أن أقول لها أنا أكلمك، لست أضربك، لكن الأسى الذى اكتنفها تحول إلى نشيج مكتوم، وجمَّد الكلام بحلقي.

متأرجحاً فوق فراشى بين اليقظة والنعاس، أراقب استطالة ظلى فوق الحائط، وأفكر بالبنت التى كانت رحابة روحها تمنحها صلابة ومرحاً واعتزازاً، تبدو ذكراهم جريحة بخمولها الحالى ورغبتها فى الاختباء. أضرب رأسى فى الحائط، ولا أنجح فى التذكر، كنت مصراً أن أعرف حقيقة ما جرى حتى لو كان هذا آخر ما سأفعله بحياتي. لذا ألقيت

fb/mashro3pdf

بنفسى فى أتون الكابوس الثانى عشر محتشداً بكل ما لديَ من تحدٍ.

..... أرانى مقيداً إلى جذع الكافورة فاقداً للوعي، أهزنى بقوة حتى أفتح عيني، أتلفت فلا أجد ندى ولا الرجل «إياه»، لكن أنينها يصل لأذني، أفكر بما يحدث، أسمع ولا أرى، أحاول فك قيدى فلا أفلح، يأتى أنينها فى أذنى مختلطاً بالعواء الخافت، الآن فقط أدركت أنى لم أكن هدفه.

بدت عيناها منطفئتين عندما صافحتهاوهى خارجة من باب المشرحة، تجنبت عينيَ وظلت تضغط حقيبتها بيدها، كانت حرارة منتصف النهار قد صنعت دائرة مبللة بالعرق فوق قميصها حول منطقة الإبط، ولم تنجح مواد التجميل فى إخفاء تورم جفنيهما، أخبرتنى أنها لم تنم جيداً ولهذا لا تستطيع الكلام، كنت على وشك أن أقول: أنا أيضاً. لكنى لم أفعل.

مشيت طويلاً وركلت كل ما صادف قدميَ من أحجار، كان القمر بدراً هذه الليلة، أراقبه من نافذة غرفتى بينما أذرع الصالة بخطوات ساخطة وذهن ينحو إلى الجنون، عاجز عن النوم وعن الصحو، لا أكف عن التفكير فى معنى الظلم والعدوان.

..... أنجح فى فك قيدى فى الكابوس الثالث عشر، أعدو باتجاه أنين ندى، فيوقفنى العواء المرعب. أستجمع شجاعتى وأتقدم. أقترب غاضباً، فأسمع أنينها وأحسه يرتد وخزاً فى صدري. يزداد غضبى من خوفى وعجزى فأضرب صدرى مرة، مراراً ، فيستيقظ الذئب فىَّ وينطلق لينشب أنيابه فى ظهر أبودراع حتى يرفعه من فوق جسد ندى شبه العارى - جسدها الملطخ بالطين والعشب والحشرات الرفيعة وأشياء أخرى - ويلقى به بعيداً. أختبئ قبل أن تفتح عينيها، ومن مكمنى أراها تئن وهى

fb/mashro3pdf

تحاول النهوض. أراها، ولا تراني، تقف، برأس مائل وشعر مهوش، تفرد، فوق جسمها، ثوبها ثم تمشي، تزك على رجلها اليمنى حينا وعلى رجلها اليسرى حينا آخر.

نهضت مبكراً فيما كانت الشمس تغمر الكون بضياء ساحر، وكان للهواء رائحة الربيع، وللفول المدمس مذاق الفراولة الناضجة. أحسست بأني مرتاح ومفعم بالطاقة، إنحنيت والتقطت الجريدة التى يمررها البائع من تحت عقب الباب، فرأيت صورته، إنه هو.. بنفس عقفة أنفه الغريبة التى رأيتها لحظة غرزه لأظافره بذراعي.

بسرعة ذهبت، فلم أجدها عند المشرحة، بحثت حتى وجدتها فى إحدى العيادات تفحص سيدة حبلى، وضعت الجريدة على المكتب أمامها، حدقت إليّ، فقرأت عليها الخبر، مهاجمة الضوارى لرجل من قرية «منية وردان» تتركه فى حالة بائسة بين الموت والحياة.

التقطت الصحيفة وراحت تقرأ فلفتتنى أناملها.. بدت مخضبة بلون أحمر قاني. ابتسمت ابتسامة غامضة ثم قامت وسارتْ بثباتٍ وتوازن أدهشاني، وفيما كنت أهم باللحاق بها تجمدت نظرتى فوق أناملي.. هى أيضاً مخضبة بلون الدم.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

يبدو أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل فالسكون سائد والضباب كثيف، والبيوت تبدو من بعيد كأنها غير حقيقية، وبالنسبة لى أشعر أننى بحالٍ أفضل، مرتاح ومفعم بالحيوية. بخطوات رشيقة قطعت المسافة من عند عشش الصفيح المتاخمة للجبانة ثم عبرت ممر الأشجار حتى صرت فى مواجهة البحر، حيث أمكنني، بصعوبة، تمييز العلم الأسود «علامة الخطر وحظر السباحة» بعدما خلته شبحاً هائماً فوق المياه. بعدها انعطفت بموازاة المحلات التجارية بشارع البحر حيث الفتارين الزجاجية مظلمة ومغبشة، ومع نهايتها، على مرمى البصر، وعلى بعد حوالى مائتى متر تظهر صفوف المساكن الصغيرة للمجمع السكني، وفى الدور الأول من البيت الأخير من صفها الأمامى ميزت بصعوبة نافذتها المظلمة. جذبت تلفيعة سوداء كانت منشورة فوق أحد الأعمدة وأحكمت لفها حول رأسى ووجهى و.. صرت الرجل الخفي.. لن يعرفنى أحد، ولن.. لن أعود ضحية للوغد كما حدث من قبل عندما رزعنى عَلقة موت، خبرت فيها نوعاً مميزا وعميقاً من ألمٍ، أصعب من أن أتذكره.

عبرت مسرعا، كى لا تنتبه لحضورى اللبؤة ابنة «حسنات التمرجية» وتقفز أمامى بساقيها المرمريتين متسائلة: كنت فين؟ مذيلة سؤالها بشهقة غنجة: وحشتنى موت يا روح الروح. أو غيرها من عبارات وإغراءات من الأسلم أن أتحاشاها الآن، فأنا أعرف مواطن ضعفى ولن أدعها تنال مني، فقد حددت، لأول مرة تقريباً، أهدافى: أولاً إصلاح الأمور مع «سماح»، ثانياً تصفية الحساب مع.. الوغد، ثالثاً... هذا سيتحدد حسب نتائج ما سبقه.

فكرت فى كتابة رسالة قصيرة لها، لكن ليس معى قلم، ثم كيف سأوصلها

fb/mashro3pdf

إليها؟ لا يمكننى الاستعانة بأحد. فكرت فى قذف شباكها بطوبة، علها تفتحه وترانى كما فى أفلام الأبيض والأسود التى يتمادى فيها العاشق الأبله ويجازف بتسلق المواسير للوصول لغرفة محبوبته، لكن لا، الأمر ليس بهذه السهولة، فهى لابد قد علمت بما حدث، وستكون غاضبة مني، ولابد من مقدمات وتهيئة للمصالحة، رغم ثقتى بأنها أكثر نساء الأرض تسامحاً.

عند الجنينة التى تتوسط صفيّ البنايات الأولين خطرت ببالى فكرة، قطفت وردة حمراء «هى تحب الورد الأحمر» واقتربت من البوابة الحديدية لبيتها، وثبت الوردة فى أحد ثقوب زخارفها، حتى تكون فى مرمى بصرها وهى تفتحها فى الصباح.

شعرت بارتياح لهذا التصرف، ثم عدت إلى الجنينة، على النجيلة ظهر عم يونس ممدداً على جنبه الأيمن ومستغرقاً فى النوم، وبجواره الراديو الترانزستور الذى يصاحبه كظله، فأصغيت:

- ما ضاع زمانك ويا زماني... عمر اللى فات ما هيرجع تاني.

عبرت بجواره بحرص كى لا أوقظه، لكنه فتح عينه فجأة ونظر نحوي، حييته فلم يرد، بل جحظت عيناه كأنه رأى عفريتاً، اندهشت للحظة ثم تذكرت أمر التلفيعة السوداء، فحمدت الله لأنه لم يعرفني. قضيت الليل جالساً فوق النجيلة الرطبة، مسنداً ظهرى على جذع الزيزفونة العجوز، أتنشق رائحة الحياة وأراقب التماع حبات الندى فوق الأوراق الخضراء، ينبهنى نقيق ضفدع يتقافز أو مروق فأر يهز ذيله النحيل يميناً ويساراً، توقف كلب صغير أمامى وحدق طويلاً بوجهى ثم أخذ ينبح نباحاً متواصلاً ثم انطلق جارياً.

fb/mashro3pdf

- كلب غبي. تمتمت وأنا أبتلع ريقي، ثم تواريت وراء الزيزفونة حتى أتأكد من أن النباح لم يلفت الأنظار. فجأة لمعت عينان، نعم إنه هو، ظللت ساكناً كالموتى فيما تقدم «الوغد» وراح يتفقد الحديقة، حتى صار على بعد خطوتين مني، ثم التفت وابتعد. ما الذى أتى به إلى هنا؟ هل ثم خبر عودتي؟ ولكن كيف؟ لقد كنت حريصاً، ثم لماذا يأتى وحيداً؟ هو الذى يستقوى دائماً برفاقه الأشقياء. على أية حال لا أرغب فى مواجهته الآن، لن أدعه يستدرجني، سأفعل ذلك حينما أبغى وبالطريقة التى تروقني.

خيم السكون مجدداً، ثم ظهر قط أسود صغير وراح يدور حولي، ولما لم أعره انتباهاً رقد ساكناً بجواري. تمنيت أن ينقضى الليل بأسرع من العادي، لا أعرف، ربما لرغبتى فى حسم الأمور أو للهفتى على استرداد حياتي. فتحت عيني. هل أخذنى النوم دون أن أدرك؟ إذ فاجأنى بياض الصباح الناصع.. إلى أين ذهب ذلك الظلام؟ ومن أين أتى هذا النور؟ تساءلت، ثم ضحكت، فلو علمت «سماح» أننى أفكر بمثل هذه الأمور لتيقنت من أننى تغيرت بالفعل، وكشخص مختلف «على الأقل فى هذه اللحظة» سأستحق المسامحة، والسماح ببداية جديدة، ولكن ما سر لهفتى على العودة إلى هنا؟ إلى أرض «عمران» بكل حماقاتها وعنفوانها!!! وأنا «كابن ضال» إليها أعود.. إلى حيث مسقط رأسي، إلى حيث ترعرعت، مصراً على البدء من جديد وبشكل مختلف. نعم، بهذه الكلمات المؤثرة... سأنال عفوك يا سماح.

عينى على شباكها، ظللت مختبئاً وراء جدار الجامع المقابل لبيتها، والقط لابد ورائى كظلي. أفكر بعينيها الناعستين، ألم تتأخرى على

fb/mashro3pdf

تلاميذك يا فتاة؟ هل تعطل المنبه الذى يوقظك؟ لا، فها هى تقترب من البوابة، ولكن لماذا تلبسين طقماً أسود؟ هل عملها أبوك ومات فى يومي غيابي؟ تخرج المفتاح من شنطتها وتنحنى لتفتح البوابة، لكن أين الوردة؟ يبدو أنها سقطت، فقد انحنت والتقطتها، وفيما راحت تتأملها وتضغطها فى يدها عادت تنحنى أكثر وأكثر، أكل هذا الانفعال بسبب وردتي؟ مازلت تحبيننى إذن. عاشقة مخلصة أنت يا سماح، يذهب حبيبك ويغيب مهما يغيب ثم يعود فتلقينه هادئة كأنه لم يتأخر إلا دقائق، كأنه خرج لشراء علبة سجائر، يصاحب كل بنات حواء «مادام هذا هو داؤه المكين» فتظلين جالسة بانتظاره، وتنكفئين على حديد البوابة، تأثراً، لدى رؤيتك لوردته. هى اللحظة المناسبة إذن كى أعوضك عما سببته لك، لأقول لك: شبيك لبيك.. عبدك وبين إيديك. ما إن خطوت باتجاهها حتى رأيت أخاها آتياً من وراءها، فتواريت كى لا يرانى وتبدأ المشاكل. راقبته وهو يسندها ثم يفتح لها باب السيارة ثم يركب وينطلقا. راحت الفرصة للأسف ولم يعد أمامى سوى انتظارها عند المدرسة.

قضيت ساعات الصباح فى المسجد، لحسن الحظ كان خالياً، عوضت قلة نومى فى الليلة الفائتة، وما إن أُذن لصلاة الظهر وبدأت الأقدام تحث الخطى حتى غادرت.

انتهزت فرصة ابتعاد البواب والتقطت عوداً من الأرض وكتبت لها فوق فرشة الرمل بمدخل المدرسة: «أنا لك على طول» ٢ يناير ٢٠٠٧ ثم تواريت عن الأعين. دق جرس المرواح، فاندفع الصغار يتسابقون فى الفكاك إلى الشارع، ووراءهم ظهرت مجموعة من النساء «مُدرسات» بينهن سماح التى توقفت عندما وصلت للرمل، هل لاحظت ما كتبته ووصلتها رسالتي؟ هل

fb/mashro3pdf

ستفهم أن علاقتى بأخت الوغد لم تكن شيئاً، وأنى لست كما يصفونني، يموت الكلب وذيله بيلعب. لو لاحظت ما كتبته ستعلم أنى لم أنسَ تاريخ اعترافنا بالحب، لم أنسها لحظة، وستتأكد من حبى وتسامحني، لكنى للأسف لن أتيقن، فقد انهارت قبل أن تصل للبوابة وقبل أن أتمكن من محادثتها. التموا حواليها، ولكثرتهم لم أتمكن من الوصول إليها، لكنى رأيتهم يحاولون مساعدتها بمسح وجهها بمناديل معطرة، وبوضع قطعة حلوى فوق لسانها، وبعد دقائق سمعت سرينة سيارة الإسعاف. توقفت بجوارى ثم سرعان ما تحركت وسماح بداخلها.

القلق يبددني، ما فعلته لأصلح علاقتى بها أفسد كل شيء. ماذا أفعل؟ أنا حائر بين عذابين. أود أن أقول بالفم المليان أنى لست من كنت فى السابق، أنى تغيرت، واحد بداخلى مات وواحد قام. أود أن أقول أشياء أخرى كثيرة لكن صوتى انعدم، لأن من يهمها أن تسمع وأن تعرف مستلقية، بإحدى المستشفيات، الآن.

مررت بأغلب مستشفيات البلدة حتى رأيت سيارة أخيها مركونة بجراج إحداها، درت بحذر حول شبابيك غرف المرضى حتى توصلت إليها، فجلست فى مكانٍ آمن قبالتها. من بعيد رأيتها غافية وموصولة بمحاليل وريدية وبجوارها أمها «بثياب ملونة وهى ملحوظة طمأنتنى على حماى المستقبليَ وشغلتنى بشأن معنويات سماح، وإن خايلنى فرح صغير لأن تكون مكتئبة إلى هذا الحد بسبب غيابي. من بعيد، رحت أراقب المونيتور، هذا الجهاز الغامض الذى يسجل أنشطتها الحيوية. انتبهت إلى وجود القط ورائي. هل ظل يتبعنى طوال الليل؟ من أنت أيها السيد الصغير؟ هل تحسبنى أباك؟ ضحكت وأنا أمسد رأسه الصغير بيدى.

fb/mashro3pdf

مرت الساعات ولم تواتنى الفرصة للاقتراب منها بعد، فأمها وأخوها ظلا يلازمانها، وفيما كنت أراقبهم رأيت واحداً من أصحاب الوغد خارجاً من المستشفي، فتواريت بسرعة، لكنه فى الغالب قد رآنى ويقيناً سيخبر الوغد الذى سيشرع، على الفور، فى اقتفاء أثري. لكن لا، لن أترك سماح مهما حدث، فقط، سأكون أكثر حرصاً. ابتعدت عن القط كى لا يلفت الأنظار نحوي.

فى أول المساء ظهرت امرأة بثياب بيضاء «ممرضة» تتحرك كثيراً وبدأت سماح، تدريجياً، فى الجلوس وراحت أمها تلملم أشياءهم فى حقيبة ثم أخذت تضبط لسماح ثيابها، وقد طمأننى هذا إلى أنها بخير وغير مضطرة للتواجد بالمستشفي، وبالفعل خرجوا، بعد دقائق، من الباب الذى كنت مختبئاً على بعد خطوات قليلة منه وعاجزاً عن الاقتراب، وقبل أن يركبوا السيارة ظهرت صديقتها المقربة، ويبدو أن ثمة نقاشاً انتهى بترتيب ما، فقد ركبت الأم مع الأخ بالسيارة تاركين سماح بصحبة صديقتها.

سرت وراءهما بمسافة كافية لسماعهما دون أن ترياني. استفاضت الصديقة فى معاتبة سماح على تركها نفسها للانهيار، مؤكدة أننى لا أستحق أن تعذب نفسها لأجلي، «تحدثت عنى بالطبع باعتبارى ، هو». كنت أتحين الفرصة كى أستوقفهما، وأحتج على الكلام المسمم لصديقتها لولا أن فصلتنى عنهما السيارات أثناء عبورهما المفاجئ للشارع. عبرت مسرعاً، مصراً على ألا أفقدهما، حتى أن إحدى السيارات كادت تدهمني، لولا حسن حظى النادر فى هذه اللحظة. فقد.. لامستني، تقريباً، دون أن تصيبنى بأذى، لكن الذعر شل حركتى بضع دقائق، ابتلعت ريقى وخوفى متذكراً سبابة أمى المحذرة: مش كل مرة تسلم الجرة يا ابن بطني. انتبهت

fb/mashro3pdf

بعدها إلى أنى فقدت أثرهما. هل سارتا باستقامة الطريق؟ أم انحرفتا بالشارع الجانبي؟ توقعت أن تأخذها الصديقة للجانبي، فهو أكثر هدوءًا كما أن بميدانه نافورة تحوطها مقاعد مريحة، وما أن اتجهت نحوه حتى لمحت عينى الوغد تراقبانى من وراء إحدى البنايات، أسرعت بالتراجع، واضطررت لسلك طريق وعر أمكننى منه العروج إلى حيث وجدتهما عند النافورة كما توقعت. كانت أضواء النافورة مطفأة وضوء القمر يغطيه الغمام، وبدا ظلاهما فوق الماء مهتزاً مع دفق المياه.

سمعت الصديقة تنهرها: - بلاش الهبل بتاعك ده.

ردت سماح منفعلة: - طيب مين كتبلى ع الرمل تاريخ محدش يعرفه غيره؟

صاحت صديقتها مستنكرة:

- رمل إيه؟ ما كل الناس شافوا دمه سايح هنا. دول قعدوا شهر ما بيتكلموش غير عنه.

- شهر!!

همستُ متعجباً وقد داهمنى نفس الألم، بدأ حاداً وغائراً ثم راح يتفاقم إلى حد لا يطاق، أحسست بعطش قاتل كأنما أُلقى بى فى رمال ملتهبة، ثم فجأة... لم أعد أشعر بشيء.

أطل وجه الوغد من وراء إحدى الشجيرات فى الجهة الأخرى من النافورة، فيما كانت سماح وصديقتها مستغرقتين فى الكلام فلم تنتبها

fb/mashro3pdf

لوجوده. حين التقت عينايَ بعينيه تلبسنى غضب جارف. لم أعد أشعر سوى برغبتى فى الثأر، نسيت خوفى وربما أحس هو بذلك، إذ توارى بسرعة تاركا لديَ شعوراً بأنه هو الذى خافنى هذه المرة. كنت مصراً أن أصل إليه ثم أعود لسماح فيما بعد، لكننى انتبهت على صوتها الباكي:

- مش قادرة أسامح نفسي.

ردت صديقتها معاتبة: - ليه الكلام ده؟

كنت أريد أن آخذها فى حضنى وأطمئنها بأنى استعدت عافيتى وما من داعٍ للبكاء، وبالفعل تقدمت خطوة، لكنها كانت أسرع مني، إذ انهارت منتحبة، مختنقة الصوت:

- كنت بأتقطع من علاقته بالبنت دي.

ردت صديقتها ساخرة: - وغيرها وغيرها. ما هو طول عمره خاين.

«لم تكن خيانة، بل فجوة ترسل فحيحاً لا يهمد، بئر يرقد بقعرها كلب لا يكف عن النباح.. لكن كل ذلك لم ينسنى حبى لك، أنت تعرفين».. فكرت وهممت بالتقدم محتجاً على صديقتها التى تعشق الصيد فى الماء العكر، غير أن صوت سماح جمدني..

- لما أخوها سألنى عليه اتجننت وعشان أغيظه قلت له.. إسأل أختك. هيه أدرى يا زينة الرجالة!!

- هه! سخنتيه!؟

مصعوقاً فى مكاني، إذاً أنت التى وشيت بي!؟ أنت!؟ محال. لابد أن ما

fb/mashro3pdf

أعيشه الآن غير حقيقي، كابوس. ظللت أتلفت باحثاً عن يد أمى تربت كتفى وتوقظنى بابتسامتها الوديعة ؛ صح النوم. فأنهض مطمئناً لما أعرفه عن العالم مادامت هناك امرأة تحبنى إسمها سماح، لكن كلماتها أيقظتنى وهى تكمل اعترافها ؛

- كنت فاكرة انه هيديله خبطتين يؤدبه. ماكنتش عارفة ان معاه مطوة!!

... جرحتنى طعنة الوغد، أما طعنتك يا سماح فقاتلة. همست، وأحسست بأنى أتلاشى.. شُل تفكيرى عن ما سأفعل؟ ما الخطوة القادمة؟ ما ..... وفى هذه الأثناء استطردت الصديقة ؛

- الكلام ده مالوش لازمة. وأهو التانى خد جزاءه فى ساعتها. دى العربية حدفته حدفة!!

الاتنين دلوقتى ماتجوزش عليهم إلا الرحمة...

ببطء رحت أستوعب ما سمعته، أغوص وأطفو، محتقناً بالرغبة فى التقدم، الاقتراب منها، مقاطعتهما، غير أن تلك البنت سحبت سماح من يدها وتقدمتا باتجاه الأضواء البعيدة، فيما بقيت أنا والوغد نتبادل النظرات، وقد رقد القط الأسود، بمنتصف المسافة بيننا، مكتسياً سحنة غامضة.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عن النجوم البعيدة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

على جانبى ترعة رفيعة من فروع النيل تبدو البيوت صغيرة ومتناثرة، تحيطها الغيطان مثل طوق أخضر عريض ومتدرج اللون، ومفرغ فى بعض المواقع، ويبدو أن هذا قد سمح لنسمات هواء خفيفة بالمرور، بعد نهار شديد الحرارة، دافعة أفرع الصفصافات الضخمة المتدلية إلى حركة ناعمة تشبه السباحة فى الهواء. كان ثلثا الشمس قد اختفى وراء التلة، بينما الثلث العلوى يبدو كأنه على بعد ذراع واحدة من يدى المتكئة على إفريز شباك المنظرة الغربية، عازفة عن الاقتراب من فنجان القهوة الذى يتصاعد منه البخار..

بعد المغرب سيعودون. ارتجفت فى أعماقى من رنين هذه العبارة. بدا لى أنها المرة الأولى التى أكون فيها مسئولة عن قرار بهذه الضخامة. لمتُ نفسى لأنى تركته لهم فى الخطوة الأخيرة التى أصروا على اعتبارها من شأن الرجال وحدهم، كان الجو شديد الحرارة، وكان مجهود الأيام الأخيرة قد نال منى. لو رافقته لما سمحت بأن يحدث ما حدث.

كانوا واقفين فى نصف دائرة حولي، تتوسطهم العمة التى لا أعرف اسمها، راحت تغطى نصف وجهها السفلى بطرحتها الحريرية السوداء، فيما أخذوا يعتذرون ويواسوننى مؤكدين أنها كانت رغبته..

- رغبته!؟

.... حيرنى سنوات طويلة، يخلع قميصه وبنطاله كى يستقبلهم مرتدياً الجلباب ومعطشاً حرف الجيم، تتغير معهم لهجته وأفكاره فيبدو كأنه شخص آخر. ربما تسرب إليّ هذا الهاجس من أمي، فقد كانت تتألم كثيراً. الآن لم يعد أى منهما معي، والقرار قرارى وحدي.

حين قالوا أنها كانت رغبته، صحت، أبعدتموه عنها!!

fb/mashro3pdf

.... كان فخوراً عندما تزوجها، جميلة، ذكية، ومتعلمة. هم اعتبروها متكبرة، ولا يمكننى أن أنفى هذا تماماً، فقد حرصت، بعد ما عانته، على مسافة بينها وبينهم. عيروها بخلفة البنات واتهموها بدفعه لبيع ميراثه من أرض أبيه ليبنى بيتاً للغرباء.

مالت العمة التى لا أعرف اسمها فتلقفتها «هبة» ابنة العم الصغيرة مشيرة إلى كنبة قريبة : ارتاحى يا عمة. لكنها أبت أن تتركنا. من تحت جفنيها لمحت بياض عينيها اللوزيتين محمراً.

.... بعد ساعة واحدة من إتصالى بهم عقب منتصف الليل، كانت هذه العمة على باب الشقة يتقدمها أبناء العم، لم تكن الدنيا قد نورت بعد؛ واحد إثر الآخر يقتربون منه بدموع عالقة فى العيون، يقبلون جبهته ثم يديه. فيما ظلت هى واقفة عند باب الغرفة، غطت وجهها بطرحتها الحريرية ثم انحنت تبكى بخشوع.

استعدت صوتها عندما جلست قبالتى فى سيارة الإسعاف فيما كان هو مستلقياً بيننا. استعدت نحيبها وعديدها :

- رجعت يا غريب. رجعت يا سيدي. رجعت لأرضك، لبلدك، لأهلك وحبايبك.

.... كانت عمتى الحقيقية، الشقيقة الوحيدة لأبي، تغار عليه من زوجته. ربما انتقل الشعور لبنات أعمامها اللائى يعتبرنه أخاهم وسندهم، وأعتبرهن عمات كهذه العمة ذات العينين اللوزيتين التى لا أعرف اسمها.

أوجعنى التفكير بتوارث الحب والكراهية.. والغيرة. أربعون عاماً عاشها فى المدينة، شيد هو وأمى حياتهما ومازالوا يعتبرونه غريباً! لم يمر أسبوع

fb/mashro3pdf

دون أن ينزل لزيارتهم، ثم يعود آخر الليل كى يبيت فى فراشه بجوار أمي؛ أربعون عاماً ظلوا يعتبرونها أخذته من أبيه ومنهم. أحسست بمرارة أن ينجحوا فى التفريق بينهما الآن. نفيت عنه داء الشيزوفرينيا الفكرية بعدما اتسعت معرفتى بالناس وطبائعهم، فتفهمت الرحابة التى تعامل بها. ما كان ليستغنى عن أسرته الصغيرة ولا عن العائلة الكبيرة. باع الأرض لكنه لم يفرط فى بيت العائلة الذى يجمعنا الآن. لم يتعامل بوجهين، فهم ينسبون له الفضل فى أنه وقف مع أبناء العائلة فى اختيار نوعية الدراسة وخيارات المستقبل، كما وقف ضد زواج البنات من أي كان مركزه أو ثروته إذا كان ذلك ضد رغبتها. تفهمت أخيراً أنه كان يقدر الحرية بروح المدينة والقرية على السواء. هم ليسوا مثله. لم يصبحوا مثله بعد.

مسح «سعيد» ابن العم الذى يقاربنى فى العمر وجهه بطرف تلفيعته متنهداً

- كانت روحه فى أبيه. تعرفين.

.... هى أيضاً كانت تعرف. كان أصغر الأبناء، إبن المدارس المجتهد الذى درس الطب ولبس المعطف الأبيض، وحقق حلم أبيه، ثم تعرف إليها وأحبها وتزوجها. حكت أنه كان يرجع للجد فى كل شيء، وأنها سعت لانتزاع استقلاليتهما عنه بشكل أبعد ما يكون عن الخشونة، وأكدت أن الجد تفهّم، لم يخذلهما يوماً، ولم يسء إليها قط. كانت تتمنى لو كانوا كلهم مثله. المرة الوحيدة التى رأيت أبى يبكى فيها كانت يوم موت جدي. يوم موتها كان قد جاوز العام العاشر من مرضه العضال الذى سلبه الذاكرة والإدراك. صلى عليها وحضر دفنها وأخذ العزاء، وأول ما رجعنا البيت قال، شوفى مامتك فين عشان نتعشى.

fb/mashro3pdf

لعشر سنوات، تحملتْ وحدها مرضه، ثم مرضتْ أسبوعاً واحداً. قبيل أن تفقد الوعى كان هو كل ما يقلقها:

- هيعمل إيه بعد ما أموت!

عام واحد عاشه بعدها تحول فيه أبى إلى ابني، أطعمه وأنظفه وأهدهده، نسيت الأب القديم الذى كان يتعنت فى بعض الأحيان ويفرض الوصاية. كانت روحه فيها هى أيضاً، لم يتوقف خلال هذا العام عن السؤال عنها، أفاجأ به كل صباح مرتدياً بذلته وحذاءيه ويقول: رايح لأمك. لم يذكر جدى إلا قليلاً.

صحت، لو عايز يكون مع جدى ما بنى شيئاً يخصه.

.... ما فعلوه كان جائزاً لو لم يبنِ لنا عينين خاصتين وراء جدى مباشرة. أراد أن يلتم شمل أسرته الصغيرة، وارتاحت أمى لفكرة دفنها بمدافن عائلتنا بدلاً من أن نروح بها لديار عائلتها البعيدة، ثم تكسل عن زيارتها فيما بعد. شيء كان يشبه بناءه بيتاً من ثلاثة أدوار، اضطر أن يبيع من أجل استكماله ميراثه من أرض أبيه، ليضم بناته وأزواجهم. لم يعتبر أزواجنا، يوماً، غرباء.

صاحت العمة التى لا أعرف اسمها منتحبة فى طرف طرحتها الحريرية: هوه موصينى من زمان.

.... عشر سنوات لا يدرك ما حوله، متى بل كيف أسر بشيء؟ ثم لماذا استأمنها هي؟ عمَ تتكلم!

كان ذهنى مشوشاً لكننى أحسست بحروف تلهو ومؤامرة تحاك من تحت الطرحة الكاذبة.

fb/mashro3pdf

صحت مستنكرة: موصيكي!! ولم أجرؤ على تكذيبها، لكن يبدو أن انفعالى كان جلياً فقد أرغمهم على الصمت فترة قصيرة قبل أن يرفع «سعيد» يده بحسم:

- إحنا رهن إشارتك.

لو عايزة.... نص ساعة نجهز كل حاجة وننقله.

- فى الحر ده؟ صحت بوجل

- يبقى بعد المغرب نجيب الكلوبات.

.... استماتتهم فى محاولة إرضائى أراحتنى وأعادتهم إلىّ، هم أكثر من مجرد أناس أتشابه معهم فى الأسماء الأخيرة أو اللقب، بل أتصور أنى فهمتهم مبكراً، وقد أكون ساعدت أمى فى فهمهم، كما أن مرور السنوات والمشاركة فى احتمال الخسائر التى توزعها الحياة على الجميع، عمقت المعرفة وغيرت نظرة كل طرف للآخر. قلبت الأمر فى هذه اللحظة من الصمت، على كل الوجوه، وعمدت إلى تذكير نفسى بأن ثلاثتهم «أمى وأبى وجدي» الآن فى ديار لا نعلم شيئاً عن قياس المسافات فيها، فلم يخفف هذا عنى كثيراً، ولم أنجُ من الشعور بأنى خذلت أمي، فقد تركت عائلتها من أجله، كنت أريدهما معاً، أحسست بالضيق من زجهم بى فى هذا المأزق بدلاً من أن يتركونى أعايش حزنى بسلام. كان العرق ينز من مسام جلدى لزجاً وساخناً وحانقاً، لكن ما برد نارى هو أن الدافع لما حدث هو الحب الذى يكنونه له. حتى إننى كدت أضحك من بين دموعى من هذا النزاع على رجل ميت، وكنت أيضاً على وشك الاستسلام، عدا أن الفأر فى عبى حين طبطب ابن العم الأخر على الطرحة المنتحبة التى تطل من تحتها ضفيرة قوية من شعر كستنائى اللون:

fb/mashro3pdf

- وحدى الله يا عمة «ملَك».

رن الاسم فى أذنى ثم انزلق حتى عظامي.. «ملك»!! هششت ذبابة كانت تدور بإلحاح أمام عينى وأحسست برأسى تسيل. حدقت، غاضبة، بملك ثم صحت بانفعال: خلاص. ميعادنا بعد المغرب. ثم خطوت نحو المنظرة.

.... هى ابنة أحد أعمام أبى التسعة، رحل أبوها مبكراً، ورعاها جدى كأخت لأبنائه، لم يتردد اسمها فى بيتنا سوى مرات قليلة..

- سلملى ياخويا على الست ملك اللى كانوا عاوزين يجوزوهالك!

تشاكسه أمى بدلال عندما يستعد للذهاب بعبارات من هذا القبيل،

- غلبانة ووحدانية.. كانت بتحب أبوكى موت وهمه عيال. بس من ساعة ما دخل الجامعة عمرها ما رفعت عينها فيه. ما تقولوش غير.. ياسيدى الدكتور.

هذا ما قالته «لبنى» ابنة عمى المقربة فى يوم بعيد

- حرنت على الجواز بعد ما بقى دكتور وخطفته البندرية.

هذا ما سمعته فى أحد الأعراس همساً بين امرأتين من المدعوات.

فنجان القهوة برد، وانضم للسابق الذى لم أمسه، فيما لم يبق من الشمس سوى الشفق.. أثرها الأخذ فى التلاشي، قبل أن تعبر إلى ديار أخرى بعيدة. لم أفلح فى تلاوة القرآن بالتركيز الواجب، فقد كان وجه هذه المرأة يخايلني، بالضفيرة التى لها لون الكستناء، والعينين اللوزيتين لامرأة نجت من أعباء الزواج فاحتفظت بشيء من جمالها، ما جعلها تبدو أصغر من عمرها المتوقع بما يقترب من العشرين عاماً..

fb/mashro3pdf

وبدا لى أنى أمسكت بأطراف مؤامرتها، بداية من اشتراك الأقارب فى التبرير لما فعلوه إكراماً لخاطرها وانتهاء بوصية أبى المزعومة، وتأكدت ظنونى بما ذكره أحد الشيوخ الذين أتوا لتعزيتى من أن قبر أبيها هو المجاور لقبر جدي، وبهذا تكون قد ضمنت أنها حين تأتى ساعتها ستدفن بجوار أبى مباشرة، وكأن ما عجزت عنه فى هذه الحياة سيحققه لها الموت، أرهقتنى الحيرة، فلا أحد يعلم بأى أرض يموت أو يدفن، وفى النهاية ورغم كل حنقى فقد أذعنت إلى أنه مهما كان قدر غيظى منها ما كنت لأعرض أبى لمثل هذا الأمر. لم يطاوعنى قلبي.

طلبت من الشاب الذى أتى حاملاً الكلوب بعد المغرب أن يوصلنى للسيارة. وقررت بينى وبين نفسى أنى سأودع بنات الأعمام والعمات بامتنان ظاهر، وسأتجاهلها هى بشكل واضح يعرب عن كشفى واحتجاجى على مؤامرتها. وريثما اقتربت من الفناء ظهرت إحدى بنات العائلة تبكي، عمة ملك.. ربنا افتكرها.

وبينما ارتفعت الأصوات بانفعال وارتباك للتشاور فيما يجب فعله، كنت مؤججة بالغضب أكثر من الأسف، بدا لى أنها نجحت، بموتها، فى حسم النزاع لصالحها مصادرة على حقى فى اتخاذ قراري، لم تترك لى خياراً.

أحسست بلسانى ثقيلاً وأنا أتلو الآيات أثناء الصلاة عليها فاستغفرت الله ورجوته أن يمنحنى السلام كى أتقبل ما حدث، وأعدت تقييم الأمر وسعيت لتقبل العدالة التى عوضتها عن حرمانها فى الدنيا بهذا الجوار الجديد، ورجوت أمى أن تسامحني، وبينما انطلق الرجال وحدهم نحو المدافن فى الخطوة الأخيرة . اقتربتُ لتوديع بنات العم اللائى أصررن على اصطحابى نحو السيارة، فتحت الباب وقبل أن أدلف إلى الداخل

fb/mashro3pdf

أحسست بلمسة على كتفي، التفت فرأيتها تقترب مني، «ملك» بشحمها ولحمها، وبنفس ملامحها الحزينة وخطوها الضعيف وطرحتها المراوغة، وضعت على خدى قبلة ثم ابتعدتْ قبل أن أترجم ذهولى إلى أى تعبير، تحجر لسانى وأحسست بمفاصلى تتهاوى بين صدى تنهيدات أمى وترتيل أبى للقرآن، ثم آلامهما وبرودة موتهما، عدا أن عينى أنقذتنى إذ لاحظت أنه ليس ثمة مفاجأة لبنات العم، واستوعبت، لحسن الحظ، من حديثهن أنها «ملك» أخرى: «ملك أم اسماعيل» وأن ملك التى ماتت، «ملك أم سباعي» كانت عجوزاً جداً، غائبة وقعيدة منذ سنوات، وأعجز من أن تنازع على أى شيء. ملت على «لبنى» وسألتها إن كانت ملك أم سباعى أم ملك أم اسماعيل هى رفيقة طفولة أبي؟ وبعد حكايات كثيرة سردتها فهمتُ أن من أقصدها هى ملك أخرى.. «ملك أم شحاتة» التى سافرت من فترة لابن أخيها بالسعودية ولا تنوى العودة.. «نفسها تموت هناك. حدا النبي». ابتسمتُ من شدة إعجابهم بالاسم ليطلقوه على ثلاثه من بنات العائلة، بل أكثر، فقد سمعت من ينادى طفلة تحبو بنفس هذا الاسم.

تنهدت وأنا استرجع كل السيناريوهات المريرة التى جرعتها، واندهشت من تشوش رؤيتى لغريمة أمى المتوهمة! ومن تخيلى أن الجميع مشتركون فى مؤامرة ضدي!من استسلامى لضلالات تستقطب كل موجات الغضب الهائمة وتفسر ما يجرى على هواها! انفعالات وهواجس لا يحدثها إلا.. كربٌ لا يطاق... كرب فقدان الأحبة.

من شباك السيارة دخل هواء الليل بارداً ولطيفاً، أحسست بدمعة تنزلق فوق خدي، وعندما تطلعت للسماء بدت مظلمة، وكانت النجوم.. بعيدة.

fb/mashro3pdf

غزوة الأزرق

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ولكن من أين دخلت؟ فالنوافذ مغطاة بسلك ضيق الثقوب. كائن بهذا الحجم يحتاج لأن أكون قد... آه نعم، فتحت الباب لبائعة الخضار، وربما حدثتها كانت هذه قد دخلت. من الصعب أن تفهم أنها ضيفة غير مرغوب فيها، خاصة اليوم لأنه يوم مضغوط، أراقب عقارب الساعة ما يقرب من أن يكون كل ربع ساعة، مرعوبة من ألا أتمكن من إنجاز ما ينبغى إنجازه. وبما أنها أصغر وأغبى من أن تتفهم ظروفى فليس أمامى سوى تجاهلها، على الأقل الآن، و«يحلها ربنا» بعد ذلك. لكن يبدو أنها لم تقبل بهذا العرض، فمازالت تطاردني، والأمر والأدهى أنها تلتصق بي، أهشها فتفر لحظة ثم تعاود الكر نحوى بإلحاح بشع. عاجزة عن استعمال المبيد الحشرى بسبب حساسية صدرى منه، كما أنه يترك رائحته الكريهة عالقة بالمكان، لكن لا يصح الاستسلام لوجودها فى يوم نستعد فيه لاستقبال ضيوف: رجل وزوجته، هو أحد أهم العملاء للشركة التى يعمل بها زوجي. فكرت بفتح الشُباك لعل النور الطبيعى بالخارج يغريها فتخرج، لكن ما إن اقتربت منه حتى رأيت الجحافل تقف على السلك من الخارج متأهبة لاجتياح البيت مع أول فتحة. يائسة من الحلول الفاعلة، قررت التشبث باستراتيجية التجاهل «مقاومة سلبية»، وبدأت أستعيد خططى الدقيقة فى توضيب البيت ثم تجهيز الأطعمة كى يصبح كل شيء، عند وصول الضيفين، على أكمل وجه. ساعدتنى ريشة نزع التراب على التلويح لها بالشر الكامن بأعماقى فابتعدت، ونعمت بخمس دقائق لمعت فيها خشب الصالون وبينما كنت ألمع الفازة أحسست بالحقيرة على ذراعى .. ذبابة زرقاء زرقة لامعة توقفت بمنتصف المسافة بين عينى وكفى القابضة على الفازة. تملكنى الخوف، فهذه الفازة قطعة فنية بديعة، كما أن ثمنها يكاد يبلغ نصف ثمن الصالون نفسه، لذا، صممت أن أتمالك نفسي، فأعدتها إلى الطاولة

fb/mashro3pdf

بحرص، ثم صفعت ذراعى بقسوة آملة فى قتل الحقيرة، أمل لم يتحقق لسوء الحظ، بل يبدو أنه استثارها واستنفر همتها إذ عمدت إلى مهاجمتى بشراسة، حتى قفاى لم تعتقه! أدركت أننى تسرعت فى تقديرها وفى نعتها بالغباء. يجب أن نعطى لكل ذى حق حقه، وأن.. نعدل استراتيجياتنا مع كل اكتشاف. شغلت المكنسة الكهربائية فوق السجادة ولوحت للحقيرة بفمها الواسع العميق، فابتعدت، وبدا لى وأنا مستغرقة بالتنظيف أنها اختفت، فكرت بأنها فزعت من ضجيج المكنسة، وأن أذنها الصغيرة «لابد أن لها أذناً» قد تحطمت وأن هذا سيجعلها تنكفئ لبضع ثوانٍ ثم تعود، لكن اختفاءها طال، واستمر لبضع دقائق بعد إيقاف المكنسة فتولد لديّ حلم بأن المكنسة ابتلعتها وأنها الآن فى عنقها الطوويييل!! أى فى رحلة العبور بين عالمين، حتى بلوغ بر الأمان. تخيلتها مدفونة بين طبقات الغبار ببطن المكنسة تتلقى حساب الملكين. تنفست الصعداء ثم تناولت كوب ماء مثلجا ليهدئني، وبدأت فى استعادة توازنى والتحفز لاستكمال خططي. وقفت على كرسى وبيدى «الاسبراي» لتلميع النجفة الكريستال، فزوجة الضيف، لاشك، ستنقر بعينها حتى أصغر الأشياء، وبكل همة رحت أعالج الكريستال قطعة بقطعة، وجعلتنى نتيجة هذا الجهد المخلص أنتقد ذاتى لإهمالى منح هذه الأشياء الجميلة ما تستحقه من عناية، بدا لى هذا العمل سيمفونية أعزفها وقطع الكريستال هى أصابع البيانو، كنت فى قمة انتشائى الروحانى عندما أحسست بالحقيرة تقرض بأنيابها بطن ركبتي، استجمعت كل قدرتى على الاحتمال كى أنتهى أولاً من القليل الباقى من هذا العمل ثم أتفرغ لها، ويبدو أنها فسرت هذا بالموقف الاستسلامى مني، إذ تمادت فى حقارتها وراحت تقفز بأنيابها على باطن ساقى إلى أعلى وأعلى، ورحت أكظم غيظى وأكتم انفعالاتي، عاجزة عن

fb/mashro3pdf

التركيز فى عملى خاصة عندما وصلت لأعلى ساقى واستقرت فى المركز بين الساقين، ثم تمادت فى فجورها، فى هذه اللحظة، فسحبت أنيابها وتعاملت مع هذه المنطقة برفق!! أفقت على انتفاضة كرامتى التى عبرت عن نفسها.. بانفلات ساقي، وفى اللحظة التى أدركت فيها أن الكرسى قد اهتز وأننى سأهوى لا محالة تشبثت بأقرب ما أمكننى التشبث به، لأجد نفسى بعد ثوانٍ مكومة على الأرض وسط كسر الكريستال - اللاامع.. أكثر من أى وقت آخر! - عاجزة عن الحركة ومفجوعة من منظرى لو وقعت عينكَ عليه. قررت فى هذه اللحظة ألا أهرب من المواجهة....

لا ذاكرة لديَّ عن الحرب، لكن ذاكرتى عن الحب أخبرتنى أننا عند أدنى نقطة فى هبوط المنحني، تسرب الوله القديم من بين شقوق تفاصيل حياتية استنزفتنا، وقلصت مساحات البوح بيننا، وبدلاً من أن أتمنى وجودك بجوارى الآن تسندنى لأنهض وتطمئن لكونى لم أصب بأذى، ضبطت نفسى أفكر، فقط، بحسرتك وأنت تحصي، بعينيك، الخسائر، فيما سيقول لسانك بفتور، فداكي. أفكر بغضبك الذى لن تنجح فى إخفائه إذا فشلت فى استقبال ضيفك، الذى عقدت عليه آمالاً هائلة، بالشكل اللائق.

متثاقلةً نهضت، ورحت أنفض ذرات الزجاج من فوق جسمى وشعرى ثم بدأ حماسى يتقد، فرحت أبحث عن سلاح مناسب. اخترت كتاباً خفيفاً، كى لا يحد من طاقة حركتي، مغلفاً بغلاف متين من الجلد. وأمسكته ورحت أراقب الحقيرة دون أن أشعرها بذلك، بدا لى المكر هو الصفة الوحيدة التى يتفوق فيها الإنسان على الذباب، أو هكذا أملت. توقفتْ على الجدار، فتحركت ببطء كى لا أمنحها فرصة للفرار ثم انقضضتُ فوقها بالكتاب، وقبل أن أندفع فى الفرح رفعت الكتاب عن الحائط فلم

fb/mashro3pdf

أجد لجثتها أثراً، ولا حتى أوقعتها الضربة على الأرض مثلاً!!؟ أبداً، فنقبى إذاً «طلع على شونة»، وها هى الحقيرة تزن حول رأسى بزهو فاجر. تغيظنى وتجرح كرامتى للمرة الثانية. رحت، كالمجنونة، أطاردها، مصرة على قتلها. أتلفت بكل الجهات، أثب وأركض ويستفزنى تفوقها الحاسم عليّ فى كل ذلك فأندفع أكثر. حتى انقطعت أنفاسى وارتميت على الكرسى ألهث وأحصى ما طال المكان من خراب إثر معركتى الخاسرة. رأيت الكراسى مقلوبة، ومنفضة السجائر مكسورة فوق السجادة وحولها تناثرت الأعقاب والرماد، قبل أن يصدمنى منظر الفازة وقد انقسمت إلى نصفين!! كان الإعياء قد تمكن مني، أحسست بمفاصلى وقد تحولت إلى كومات قش، وبجسدى يفتقر للأكسجين، فيما راحت الحقيرة تستعرض عضلاتها بالوثوب فوق وجهي. وكنت مازلت ألهث عندما أحسست بها داخل فمي، ويبدو أن جنون استنكارى لفعلتها قد أربكها فتلكأت فوق بلعومي، وبدلاً من أن تدفعها محاولتى لبصقها إلى الخارج، فقد انزلقت مع لعابى إلى الداخل....

أخفقت فى التقيؤ، وكاد إصبعى الذى مددته داخل فمى أن يصل لمعدتى دون أن ينجح فى دفعى لذلك، أما لترات الماء، المذاب فيه ملح الطعام، التى تجرعتها فقد استفرغتها «فى حوض صغير» كلها فى التو. وصولاً إلى العصارة المعدية ومن بعدها الصفراوية، غير أن الحقيييرة.. لم تخرج معها.

غسلت وجهى واستعنت بكل مخزون الحكمة بوعيى وعدت أتأمل المشهد بعين جديدة فرأيته هراء.. محض هراء!

fb/mashro3pdf

قلت لنفسي: «ذبابة تفوت ولا حد يموت». تذكرت جدتى عندما كانت تسخر من امتعاضى من اكتشاف دودة فى زلعة المش فتهتف ساخرة: دود دود. خلينا ناكله قبل ما ياكلنا.

ومن الناحية العلمية، ذكرت نفسي، فهى محض بروتين وألياف، يمكننى اعتبارها مثل شريحة لحم مع طبق سلطة، أى وجبة فاخرة، مثلما سأكون أنا، بعد عمر طويل أو قصير، وجبة فاخرة أيضاً لكائنات أخرى. استعدت دروس علم الأحياء عن دورة الحياة «يموت شيء ليحيا شيء، وتستمر الحياة بأكسجينها وكربونها ونيتروجينها»، ثم فاجأنى جهلى المطبق بالكيفية التى يتم بها تحلل الأفكار والأحلام والإحباطات مع موت صاحبها ثم ولادتها من جديد مع وافد آخر، وقبل أن تسحقنى هذه المعضلة الفكرية انتشلنى تفكيرى بك، وحسمت أمرى بأن الأمر برمته لا يستدعى هذا الفزع ولا يستحق أن أبدد حلمك المرتهن بهذا الضيف. عليَ البدء فوراً فى إعداد الأطعمة، أما هذا الخراب فيمكننى أن أطلب مساعدة زوجة البواب فى إزالته.

بدأت بإفراغ الخضار من الأكياس ثم جمعت المقاشر والمقاور والقطاعات (وأنا أغنى ...)، وقبل أن أهنأ بهذا العمل أحسست بوخزة غريبة فى معدتي، وراحت صورتها وهى تفرد جناحيها وتتثاءب بكسل أو تقرفص بمجون تستفزنى مجدداً. هرعت إلى زجاجة زيت الخروع وتجرعت ثلاثة ملاعق بالتمام والكمال، ثم التفت، بكل همة، للخضار، وفى غضون نصف ساعة كان كل شيء جاهزاً لوضعه على النار.

القراءة فى الموضوعات المختصة بالعقاقير والأعشاب الطبية هى

fb/mashro3pdf

إحدى هواياتي، لكن كل ما قرأته عن مزايا زيت الخروع تبين أنه لا شيء أمام التجربة العملية. ظللت أروح وأجيء من وإلى التواليت «يا قلبى لا تحزن»، أراقب، بأسى، عصاراتى ومرطبات أحشائى وهى تخرج وتهجرني، دون أن تظهر الحقيرة بينها. بدأت أضعف، أشتم رائحة شياط الأصناف التى هلكت فى إعدادها، ولا أقدر على النهوض بسرعة لإنقاذها، هامدة البدن مثل كيس فارغ، مشوشة الذهن، مضطربة الوعي، أفكر بالحقيرة تفرد جناحيها الأزرقين اللامعين بدلال بعد أن تتغذى على دمى ثم تضع بيوضها على جدران أمعائي. أرى البيوض وهى تفقس، أرى الصغار يكبرون والقبيلة تعظم باحتلالى وامتصاص حيويتي، ثم أرى الحقيرة وقد شاخت وتغضنت وصار لها وجه بغيض، وجه رجل بغيض قرر أن يقتحم حياتى ويدعو نفسه وزوجته إلى العشاء فى بيتي، أرى تحت جناحه أو فى جيبه رشوة قذرة سيلوث بها زوجي.

بصعوبة وصلت إلى التليفون بعد أن رن مرات عديدة أفاقتنى من كوابيسي: أهذا أنتَ أخيراً!!

أتى صوتك مرتبكاً وقلقاً تخبرنى باقتضاب إنك ستتأخر بسبب عطل طارئ بالسيارة وتوصينى بحسم أن أكون جاهزة لاستقبال الضيوف.. «وحدي!» ثم أغلقت الخط قبل أن أتمكن من الاستنجاد بك لإنقاذى من الجفاف الذى يكاد يودى بي... وحدى

عندما دق الجرس كنت فى أسوأ حال. زحفت حتى وصلت إلى الباب، دون أن أتمكن من فتحه، لكن رائحة عطر مثير نفذت من تحته وأنعشتنى قليلاً. أمكننى أن أدرك أن وراء الباب رجلاً متعجرفاً، ظل ينقر زر جرس

fb/mashro3pdf

الباب بعصبية وأزرار موبايله، استجمعت طاقتى وتشبثت بإطار الباب البارز وهممت حتى ألصقت عينى بعين الباب السحرية فلم أر سوى الأزرق، ربما هو لون بذلته أو لون فستانها، لم أتبين سوى أنه نفس الأزرق اللامع الذى غزا بيتى وكدر عيشى منذ الصباح، وفيما راح صوته يهمهم بمفردات تعنى أنه غير مصدق أن يحدث هذا معه، كنت أسمع نقراً خفيفاً فوق الباب لأنامل رقيقة «أنثوية.. ربما»، كانت تزيد من كثافة العطر المتسرب نحوي، ذكرنى نقرها الهادئ بنقرك فوق كوب الشاى فى الليلة الفائتة عندما سألتك عن هذا الرجل وعن سبب الزيارة، شرعت فى وصف نجاحاته ومدح مثابرته بعبارات مقتضبة وقاطعة، وبعدما اطمأننت على اقتناعي، شردت عيناك ورحت، صامتاً، تنقر الكوب لفترة طويلة.. أطول من أن تعنى أن كل شيء على ما يرام. هاجمتنى الشكوك بأن صوتك قال شيئاً يختلف عما بداخلك، كما أن صمتك هو الآخر عنى الكثير، الصمت الذى راح منذ فترة ينمو بخبث مباعداً بيننا. قضيت الليل فى قراءة ما وجدته مكتوباً بالجرائد عن هذا الرجل، فوجدت إتجاهاً لتقديره، شابته تلميحات عن تفوقه الحاسم والملغز على منافسيه، وفى إحدى الصفحات وجدت من يرجح هذا لكرمه منوهاً لكونه يدفع بسخاء مقابل.. «خدمات بسيطة»، قد لا تزيد عن بعض الدردشة عن العروض المنافسة المقدمة للشركة أثناء تناول القهوة بعد غداء دعا إليه نفسه وزوجته فى شقة صغيرة اقتحمتها ذبابة زرقاء على حين غرة هذا الصباح. انتبهت على تحول نقر أناملها الرقيق إلى صفع غاضب للباب، صاحبته همهمات مغيظة، فيما راح صوته يهدئها وهو يسخر، بنبرة غاضبة، من أولئك الأغبياء الذين يغلقون أبوابهم فى وجه النعمة.

fb/mashro3pdf

خفت كثافة العطر مع صوت خطواتهم المبتعدة، وفاجأنى الفرح الذى أحسسته بعد أن يئسا وغادرا، ولن أكون مبالغة إذا قلت إن هذا الفرح هو الذى ساعدنى على النهوض قبيل وصولك.

لم أرك فى حياتى بهذا الشكل، مغطى بالغبار، ثيابك مبقعة بالشحم، وجهك مكفهر، وقبل أسألك عمَ جرى؟ رحت تحكي، تفصيلياً، عن أعطال نادرة الحدوث راح يفضى كل منها للآخر بشكل متسلسل، وأنهيت كلامك بذكر اصطدامك بسيارة أمامك كان فاتحة لكل ما حدث، وقبل أن أقول شيئاً أردفت بغيظ:

- ذبابة حقيييرة!! ذبابة زرقاء حقيرة راحت تتقافز فوق زجاج السيارة هى السبب فى كل ما حدث.

انفجرتُ فى الضحك، بينما، مندهشاً، التفتَ أنت، وراحت عيناك تجولان حتى توقفتا عند مهرجان الكريستال المحطم، ثم نظرت نحوى بذهول، فلم أقو على النطق، فقط رجوتك فى سرى ألا تسألنى عن ضيفك، عدا أنك لم تبد مصغياً لرجائي،عندئذ أحسست بوخزة تشى بأن ضيفتى لاتزال لابدة فى مكان ما بداخلي، تفرد جناحيها بزهو وتتشفى فىَ.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

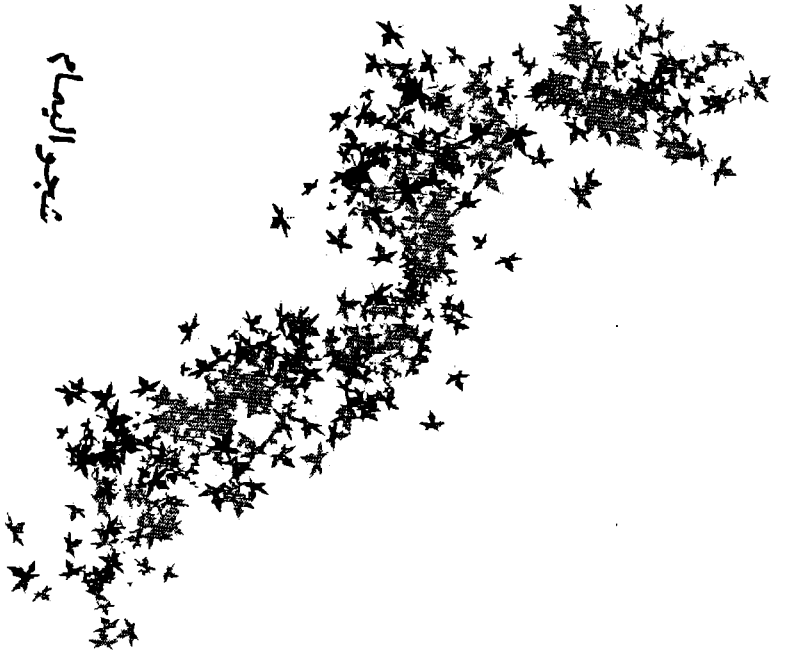

fb/mashro3pdf

كل ما أعرفه عن شادى هو أنه ابن الجيران الذى زينوا الشارع، هذه الليلة، بمصابيح ملونة احتفاءا بعرسه.

هذا لأننى روضت نفسى على حسن الخلق، وبذلت جهداً كثيفاً ومريراً كى لا أنزلق فى أية لحظة نحو رذيلة بشعة إسمها الفضول.

أنا لا أكره شيئاً فى الوجود بقدر ما أكره أولئك الذين يدسون أنوفهم فى شئون الآخرين.

فكرى أنت بالأمر: فأنت حين تدسين أنفك فى شيء لن تتوقعى أن يخرج خالياً... ناهيك عن أن أى شيء يعلق بالأنف فإنه يشوهه ويذهب بنظافته بعيداً، حتى لو دسسته فى كريمة تورتة ثلاثة أدوار، كتورتة حفل زفاف شادي.. ابن الجيران.

ولذلك فكل ما فعلته لحظة عرَّفنى إلى «مها» عندما فاجأتهما، قبل عام، تحت ظل شجرة مورقة بحديقة الأورمان هو أن حركت لسانى بعبارة واحدة :

- فرصة سعيدة.

حتى لو ثم تجعلها كذلك موجات الغبار التى أثارتها خطوات «مها» السريعة، بساقيها الطويلتين، مثل مسلتين أثريتين، وثوبها الواسع مثل جاروف يُقلب طبقات الأرض، ولا الركض الذى اضطررت إليه، على سبيل اللياقة، كى لا أتخلف عنها وهى تثرثر بحديث لا معنى له يؤكد أن التقاءها بشادى حدث مصادفة لا أكثر، رغم الكذب البادى فى عينيها.

fb/mashro3pdf

الشجرة التى التقيتهما تحتها فى العام الفائت لم تورق هذا العام، أما الصفصافة العتيقة التى كان يتجمع تحتها أبناء الحى كى يلعبوا الاستغماية فمازال يقف تحتها صبى يشبه شادى فى مرحه وفى ألوان قمصانه، وصبية ذات عينين واسعتين لا تريان سواه، يحدثها فتصغى إليه بكل اهتمام قلبها، وتدخل كلماته إلى أذنيها مثل سجع اليمام، وربما هو الآن يصرح لها بمكان سرى للاختباء لا يخطر على بال أحد.

من المرجح أن «مها» وهى تهبد أرضية الحديقة بقدميها لم تكن تعرف شيئاً عن الجرح الذى أصاب ركبة شادى اليسرى قبل سنوات، إثر مشاجرة صبيانية مع واحد من أبناء الحى المجاور المعروفين بعنفهم وشراستهم، تمزق أثناءها بنطاله الجينز الكحلى - ماركة «ويل» الأصلية الذى كان قد أهداه إليه خاله المقيم بولاية كاليفورنيا - من أول لبسة، واضعاً كرامة الصناعة الأمريكية فى حيص بيص، كما أصيبت ركبة شادى اليسرى، بجرح قطعى عميق، خاطه له طبيب الحي، سبع غرز مازال توترها - جراء السير السريع - يبعث من نظرته بريقاً برتقالياً وأليماً، ولا سبيل لمقارنته بذلك الوميض السماوى الرقيق الذى يصاحب أوقات ارتياحه وبهجته.

ربما لم تكن تعرف أيضاً أن الغبار صار، فى السنوات الأخيرة، يثير خلايا رئتيه ويصيبه بنوبات من السعال لا تستجيب لشفاعة عصير الليمون أو العقاقير الحديثة، ولا تتوقف سوى بعد بضعة أيام، يظل شادى خلالها محروماً من الأشياء التى يحبها كالتسكع أمام فترينات المحلات فى شوارع وسط البلد واحتساء الشاى على أنغام العود الشرقية داخل مقهى «الحرية»، محروماً كذلك من الاستمتاع بمشاهدة الأفلام الاجتماعية

fb/mashro3pdf

والرومانسية، التى يحبها، فى السينما القريبة.

الغبار الذى أثاره هبد مها للأرض لم يتورع أيضاً، فى ذلك اليوم، عن النيل من قميصه المخطط بالأخضر فوق أرضية بيضاء، لم يصمد بياضها طويلاً.

لو فعل شادى خيراً فى ذلك اليوم، ربما لو كان مرتدياً قميصه الكاروهات المقسم بدرجات الهافان الداكن، لما كان ثمة مشكلة، نفس الشيء بالنسبة للآخر المشجر بدرجات البيج والبني، والمميز بأزرار صدفية صغيرة، أو الأسود السادة ماركة «مونتيير».

هذا الأسود هو الوحيد الذى يتميز بقدرة فريدة على الاحتفاظ بعبق العطور، خاصة عطر الليمون الموقع به شادى والذى يبقى متغلغلاً فى ثنايا النسيج حتى بعد خطوات الغسل والكى والتعليق فى الدولاب انتظاراً للموسم التالي، أما عطر القرنفل فلا يحبه كثيراً، ولهذا يكتفى منه ببختين وحيدتين عند الضرورة. المدهش هو أن البنفسج - الوحيد الذى لا يطيقه شادى على الإطلاق - هو الذى وقع عليه اختيار «مها» لتقدمه له فى عيد ميلاده الأخير. اختارت معه زوجين من الجوارب الحريرية المشغولة بنقوشات دقيقة، كان يستحيل تبيان خطوطها المتدلية فوق حبل الغسيل الممتد بطول النافذة الجانبية لغرفة شادي، المتعامدة على النافذة الأخرى «الأمامية» التى وضع شادى فوق إفريزها أصيص ريحان مقابلاً لريحانتى الموضوعة على إفريز نافذتي، حيث ظلت، لفترة طويلة، النافذتان مفتوحتين، لتجعلا من الغرفتين غرفة واحدة من قسمين، لم ينفصلا إلا فى تلك الليالى التى بدأ يظهر فيها طرف عباءة «الست منيرة»

fb/mashro3pdf

والدة شادي، وهى تتعمد إخفاء وجهها فى ثنيات الستارة، كى لا تضطر إلى إلقاء التحية على الجيران الذين لا يروقون لها، فيما تمد يدها وتغلق النافذة.

ضوء الشمس آخذٌ فى الأفول، وظلال الصفصافة تمتد إلى مدى أوسع، ويأتى دور الصبية واسعة العينين فى اللعبة فترى الحب والإخلاص بعينيّ حبيبها قبل أن تغمض عينيها وعندما تفتحهما تجد جميع شركائها.. فيما عدا ذلك الذى يشبه شادي، وبكل اهتمام قلبها تبحث.. ولا تجد، تنادى ولا تسمع سوى رجع صوتها.

ولأننى بذلت جهداً كثيفاً ومريراً لكى أحرر نفسى من رذيلة بشعة إسمها الفضول، فأنا لم أسأله عن السبب فى إذعانه لأوامر «الست منيرة» بإغلاق النافذة، أو لمن صار يفضى بأفكاره وأسراره بعد أن توقف عن قذف نافذتى بمشابك الغسيل كما كان يفعل لأعرف أن لديه ما يريد أن يقوله لي؟ ولم أفهم كيف احتمل الكف عن الذهاب لدار السينما التى كانت تسحرنا وتجعلنا نتبارى فى حفظ مشاهد وحوارات أفلامها ونحن جالسان فى المقعدين اللذين جعل تكرار جلوسنا عليهما قاطع التذاكر يمتنع عن منحهما لسوانا؟ ولا كيف روض نفسه على مشاهدة المسلسلات التليفزيونية التى لا يحبها مطلقاً وهو جالس بين امرأتين تفننتا فى تبديد ذلك الوميض السماوى الرقيق من عينيه؟ عدا أنى أحياناً ما أضبط نفسى أتساءل، هل تترك له «مها» المقعد القريب من الشاشة كما كنت أفعل؟ هل سهرت مرة طوال الليل كى توقظه فى موعد الامتحان؟ هل اقترضت يوماً من صديقاتها ما قيمته تجاوز مصروفها لعام كامل كى تشترى له هدية عيد ميلاده؟

fb/mashro3pdf

لكنه سيتزوجها ...

هل قرب منها كتفه لتسند عليه رأسها كما كان يفعل معي؟ هل اقتربت شفتاه من شفتيها؟ هل اشتمت رائحة رجولته؟ هل سمحت له أن يقبلها أم صفعته عندما اقترب؟ هل كان يجب أن أفعل ذلك ثم أنحنى كى أحظى بتصفيق جمهور الغرف المغلقة بقبول الأمهات اللائى يروضن أبناءهن على أن يحبوا من تختارهن قلوبهم، ويتزوجوا من تختارهن أمهاتهم!؟

لا أعرف، ولا يهمنى أن أعرف.

لست ثرثارة، لذا لم أخبر أحداً كيف صار حالى بعد أن هبت عاصفة مفاجئة وسطت على سجع اليمام الذى كان لي!! كما لن أخبر أحداً عن الجحود وما يفعله بالقلوب الرهيفة، كقلب تلك الصبية التى تعلمت أن تخفى وجعها ولوعتها وتتظاهر باللامبالاة.

أنا لا أكره أحداً بالوجود بقدر ما أكره أولئك الذين يسطون على ما ليس لهم، أولئك الذين يتسللون وينتزعون من عينيك ألوان القمصان وإشعاعات العيون التى تحبينها، أولئك الذين يجبرونك على هجر صدقك وثقتك وبساطتك والإبحار إلى الشاطئ الآخر.

لن أقول مبروك، ولن أهدهد الصبية التى تقف وحيدة تحت الصفصافة، بل سأعاونها فى اختيار القناع المناسب للحفلة التنكرية.. حفل زفاف شادي.. ابن الجيران.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

لو أنكِ وردة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

على خلاف ما يحدث من أن أصحو من النوم غارقة فى عرقى وربما خائفة، مرتجفة ومتشبعة بيقين أنى رأيت حلماً سيئاً، لا أتذكر، البتة، أياً من تفاصيله، فهذه المرة وحدها تذكرت، بوضوح تام، حلمي. حلمت بأنى سرقت خزينة أبي.

- خير.. اللهم اجعله خير.

كان كابوساً مضحكاً، ليس فقط لأنى كنت أضحك بل أقهقه أثناء قيامى بسحب رزم المال من الخزينة ثم دفعها، بحماس، بداخل حقيبة بنفسجية مستطيلة، غريبة وقديمة، ومزينة بقفل ذهبى كالح، بل لأني، بالأساس، لا أعرف شيئاً عن خزينة أبي، لم أرها فى حياتي. أعرف فقط أن شركته تقع فى الطابق الثالث عشر من برج الصفوة بشارع طوسون، هذا المكان لم تطأه قدمى قط، ولهذا يبدو لى الكابوس مضحكاً، وغير منطقى أيضاً، فأنا، حسب تصورى عن ذاتي، من أقل الناس اهتماما بالمال، لأني، ببساطة، لا أحتاجه، فبيتنا يصفونه بأنه جنة، تتمناها أى فتاة فى مثل عمري، جنة شيدها لها أبوها الذى تثق أنها أهم ما بحياته، فلماذا تسرقه!

ما يجعل هذا الكابوس مضحكاً وغير منطقي، وغير معقول أيضاً هو أن أكون لصة، حتى لو فى حلم، فأنا، ولله الحمد، من يشهد الجميع بأنها.. ملاك. الأمَر والأدهى أن الحلم لم يعدل من ارتباكى المعتاد، ففى الحلم أيضاً كنت مرتبكة، ملاكاً مرتبكاً أو لصة مرتبكة تقهقه بشكلٍ متقطع فيما ترتعش يداها وهى تعبئ المال، إضافة إلى أننى كنت اللصة الغبية التى تسرق المال.. الذى سيؤول إليها بشكل طبيعي.. «بعد عمر طويل لأبي».

fb/mashro3pdf

إضافة لكون هذا الكابوس مضحكا وغير منطقى وغير معقول فهو أيضاً محض هراء، فلو سُرقت خزينة أبى ليلاً لاتصل به «محمود حافظ»، سكرتيره، مبكراً فى الصباح بعد فتحه للمكتب، ولأيقظتنى صيحات غضبه عبر الحائط الفاصل بين غرفتينا، أما لو، لسبب ما، لم تكتشف السرقة سوى أثناء النهار فعلى الأقل لذكرها على الغداء، لكنه بدا طبيعياً، أكل بشهيته المعتادة وتكلم - أثناء تناوله لفنجان قهوته المحوجة بالقرفة لحماية الشرايين - عن ترتيبه لسفرنا فى الإجازة الصيفية، ما يعنى أن كل شيء على ما يرام.

فرحى بعدم ذكره أى شيء عن السرقة جعلنى أسهو، عما ذكره عن السفر. هو يحتاج للراحة والتغيير للمحافظة على سلامة قلبه، قلب رجل أعمال تجاوز الخمسين، أما بالنسبة لى فما الفرق بين أن أكون هناك أو هنا مادام ليس لديّ ما أفعله؟

يبتسم وهو يقول: إنتى وردة. إنتى وردتي.

أضحك فى سرى وأنا أعدل أحد الأمثال التى ترددها دادة، القردة فى عين أبيها.. وردة. أضحك من وردة تهتز فتفلت الصحون من يدها، تختلط عليها مقادير الدقيق والسمن إذا أرادت أن تخبز فطيرة فتأتى النتيجة بشيء لا يصلح للاستهلاك الأدمي، تخفق قدمها فى الانتقال بين الدبرياج والفرامل، ولولا وجود من يعتبرها وردته، على الكرسى المجاور، لراحت فى خبر كان. تخفق أيضاً فى اختيار صديقة مناسبة، صديقة واحدة.. كانت هناك بنت اسمها «أماني».. ثم لم تعد.

يقول أبى إنه اختار لى اسم «وردة» آملاً أن أكون مصدر سعادة للجميع.

fb/mashro3pdf

أشعر أنى وردة من نوع مختلف، ربما أنتمى لفصيلة ورد النيل، فكلانا لا يفعل شيئاً. هو يطفو فوق سطح المياه، وأنا أطفو فوق سطح الحياة وأحلم بأنى نجحت فى سرقة خزينة أبى وترويعه، رغم ارتباكى واهتزازى نجحت فى القيام بعملٍ متقن.. جريمة كاملة.. فى الحلم.

قلت لوائل إنى غير فالحة فى شيء، فتح كتابه، ثم شكنى بإبرة ودق معصمى بشاكوش صغير ذى رأس مطاطى ثم أخبرنى مبتسماً أن العلة فى دماغى وليست فى يدي. قلت إنه طبيب امتياز لم يتعلم شيئاً بعد، فى وقت لاحق استعدت كلماته وأنا أفكر بأماني، عندما قرأت الحكم ببراءة أبيها فى جريدة قديمة.

ألح علىّ وائل أن يعلمنى قيادة السيارة بنفسه. احتج أبي: الناس تقول إيه! قلت: هو جارنا، كما أنه طبيب. رد: ولو. دفعه خوفه عليّ إلى الإصرار على أن أتوقف عن الاتصال بوائل. فعلتُ ذلك لفترة قصيرة ثم عدت. اكتشف الأمر. صاح: يستغلك. طمعان فى ثروتك. أهز رأسي: حاااضر. لم أخبره أنهما متشابهان، فللاثنين نفس الأنف الطويل الحادالذى يميل قليلاً إلى اليمين، كما أن كليهما مثابر ومنضبط، يستميت لتحقيق ما يريد، لكن الفارق بينهما كبير، فأنف أبى يزداد استطالة وهو يبتسم ابتسامته العريضة المميزة أثناء لملمته لكسر الصحون ولا يعود لطبيعته حتى بعد أن يشترى صحوناً جديدة، أما أنف وائل فيميل للاستدارة وهو يدعوني، ضاحكاً، لمسابقة فى تنس الطاولة، وعندما رآنى عاجزة عن نقل «الفتيس» اقترح بلطف: إيه رأيك نبدأ بالدرّاجة؟ وفيما كنت على وشك التصالح مع يدي، كان أبى قد حسم الأمر وجلب طباخاً، وتعاقد مع سائق خصوصي.. كى لا تقلق وردته على شيء!

fb/mashro3pdf

فى آخر مكالمة دعانى وائل لرحلة صيد. أخبرنى أن لدى صديقه المقرب مركبا مبهرا، على جانبه تصميم بالأصداف اللامعة لثلاث نخلات طوال، وراح يحكى عن رحلاتهما، حتى أحسست بسمكات الشعور تنزلق من سماعة التليفون نحوي. صحت: لأ. بلاش. وأنا أبعد السماعة منزعجة من التفكير بالملمس اللزج لسمكاته. قال بنبرة آسفة: آه من دماغك. وتوقف بعدها عن الاتصال، فعاد التليفون جثة هامدة وعادت أيامى متشابهة، عدا أن الأمس كان شديد الحرارة، وبدا مكيف الهواء قد أسلم الروح، حتى أنى لم أطق الجلوس بأى مكان... أقف، أمشي، ليس لديَ ما أفعله أو حتى ما أكتبه فوق بياض أوراق أجندتى لتزجية الوقت، عذبتنى حبات العرَق التى كلما مسحتها ابتليت بغيرها، كأن مسام جلدى تآمرت مع فراغ حياتى عليَ، سئمت وجه دادة الذى لا أرى سواه، وحنقت على وائل الذى توقف عن الاتصال. فى النهاية تمالكت نفسى واتصلت بأماني، كنت خجلانة منها. أردت أن أهنئها على براءة أبيها. بادرتنى باقتضاب: خذلتيني. ثم أغلقت الخط بعد أن قالت كلمة أخرى، لم أعد أتذكرها، وبعد أن انتظرتنى طويلاً، انتظرت أن أقول شيئاً لكنى لم أفعل. لم أستطع أن أخبرها عن الصوت الذى راح يتعالى محتداً: العرق يمد لسابع جد. يخاف أبى على وردته من معاكسات التليفون والانترنت ومن الحاسدين ومن الأطباء الشبان.. خاصة لو كانوا جيراناً طيبين، وكذلك يخاف عليَ ممَن يتهم أباؤهم بجرائم اختلاس حتى لو ظهرت براءتهم فيما بعد.

فى نهاية الدهليز رأيت الباب مفتوحاً، وفى الداخل بدا الغبار عالقاً بالجو، بما يناسب غرفة أغلقت أكثر من عشر سنوات ثم خطر ببال دادة

fb/mashro3pdf

فكرة تنظيفها فى ظهيرة ساخنة. كانت ممسكة بالفرشاة تنفض الغبار عن صورة زفافهما، حيث جلست «نجوى» أمى - أو «نوجه» كما يطلق عليها فى المرات القليلة التى ذكرها فيها - فيما ظهر هو منحنياً وراءها، يحيطها بذراعيه القويتين. سألت دادة عنها فهمست، كانت تحبه. ابتسمتُ فيما قطبتْ جبينها مستطردة، سبحان مغير الأحوال! ثم انفرطت منها الكلمات تشيد المواقف والأحزان، فقد فهمت أن نجوى أمى كانت راغبة فى الانفصال عن أبى قبيل وفاتها، انتفضتُ مبتعدة،

- لماذا أخفى عني؟ لماذا يخفى عن وردته؟

لحقت بى وهى تخفى دموعها، كانت زلة لسان. أحسست بالشفقة عليها وهى تلتفت وتسرع بإغلاق باب الغرفة .. ألهذا الحد تخافه؟

صور طفولتى احتلت ثلاثة أرباع السرير فيما تكوم جسمى فى الحيز المتبقي، عيناى تتقلبان ورأسى الراقد فوق الوسادة يدور ويخفق فى الإمساك بأى شيء، ما من ذكريات فرحة أو حزينة، تخص نجوى تثيرها هذه الصور، فقط ثمة ظلال ملتبسة.. نوجه التى صدرها لى كزوجة التلفت معه كالسمن على العسل، ثم الأخرى التى تمسد شعرى فينزلق حنانها الأمومى فوق ابتسامتى الآمنة فى الصورة، ثم تلك التى أخفاها عني.. اليائسة حد استسلامها لمرض يتغذى على التعاسة، حتى ينتهى أمرها بدفن حزنها بين طبقات غبار غرفتها الموصدة... لماذا..؟

فى المساء لاحظت استمرار تورم جفنيّ دادة وهى تخفى شيئاً فى يدها، اقتربت وفتحت، برفق، هذه اليد المنتمية إلى عينين متورمتين وقلب خائف، وجدت بداخلها ورقة، رسالة من وائل فانتفضت فرحاً، كتب

fb/mashro3pdf

أنه كاد أن يتعرض لحادث سير، وهذا سبب توقفه عن الاتصال. ابتسمت: باب النجار مخلع يا سى واثل! كنت مازلت مبتسمة عندما بلغت وصفه للسيارة، ضحكت من حروفه المعوجة «لا تليق بطبيب بل بسمكري!»، وامتعضت من تماثل ماركة ولون السيارة التى تعمدت ترويعه وتهديده مع سيارة أبى التى سلمها إلى «محمود حافظ» قبل شهرين لينجز أعمال الشركة. كان الجو خانقاً..

فى أحد أدراج نوجه التى لم تفلت يدها صحناً قط، وجدت قرطاً فضياً وحيداً بجوار الألبوم الذى انتزعتُ منه الصور وفرشتها فوق سريري، فى إحدى هذه الصور أقف بجوارها، ويبدو أن المجموعة كلها التقطت فى يوم عيد، لأنى كنت ألوح بأكياس بُمب وصواريخ، وأتأهب لفرقعتها، كنت فى الحادية عشرة من عمري، رأسى لا تكاد تبلغ كتف نوجه. أنا الآن فى الثانية والعشرين وأخاف أن أشعل عود ثقاب... مع أنى صرت، بشهادة دادة، أطول منها، كما صرت أشبهها تماماً فى نظرتها الشاردة، وأنفها المستدير، وحتى فى ثنية ذراعها التى علقت فيها حقيبة حمراء مستطيلة ذات قفل ذهبي، الحقيبة التى لولا لونها الأحمر لأقسمت أنها نفس التى عبأت بها رزم المال فى الحلم، وما زاد فضولى بخصوص الألوان هو الرسالة المسجلة لأبى التى وجدتها على التليفون قبل قليل، إذ يطمئنه صوت محمود حافظ على أنه اشترى لمبة زرقاء للمكتب بدلاً من الأخرى المكسورة. ما يقلقنى هو حقيبة نوجه الحمراء التى تذكرتها دادة من الصورة. فنهضت قبل قليل لتحضرها ثم عادت وقالت إنها اختفت من الدولاب. أفكر بالأزرق عندما يسقط على الأحمر. هل يبقى الأحمر أحمر أم يتحول للونٍ آخر؟ فليتحول إلى أى لون يشاء.

fb/mashro3pdf

ما المشكلة؟ آمل فقط ألا يتحول إلى البنفسجي، لأن هذا قد يتضافر على إزعاجي مع سمعي الأن لكلاكس أبي الحاد، فعندما يكون غاضباً يضغطه بكل ما لديه من طاقة، وقد يصل الأمر إلى ركله الدواسة مقسماً على سحق من يغضبه، وقد يعني هذا أنه .. أنني ... ربما أعيش كابوساً آخر.

قدماي تقودانى نحو النهر الذى غطاه الليل بغموضه.. اقتربت من النزلة المنحدرة التى تهدئ المراكب سرعتها لديها، تحت شجرة عتيقة تنحنى أغصانها صوب الماء توقفت. رحت، بدون أن أفهم السبب، أحفر الأرض بقدمي.. مرة، مرات.. حتى أحسست بارتطامها بجسم معدني، انحنيت، مذهولة، وحفرت أكثر، حتى انسحب مع يدى القفل الذهبى الكالح، اعتدلت، غير مصدقة، أتأمل حقيبة نوجه الحمراء المنتفخة «بمال أبي، ومعها ورقة من أوراق أجندتى عليها تسلسل أرقام غريب!!!».. ماهذه؟ كيف..؟ هل أنا...؟ صياحه يخرق أذني.. كأنه آت من حلم بعيد، أبهذه السرعة لحق بوردته؟ ماذا إذن؟ هل ينوى سحقها هى الأخرى!؟ ضغطت الحقيبة إلى صدرى وأنا أحدق إلى عينيه اللتين تحدقان إليّ، أحدق.. فألمح وراء غضبه حباً وضعفاً لم أرهما مجتمعين من قبل، رغم أنى تمنيت ذلك. لم أميز كلمات صياحه، ولم أتراجع مع اقترابه، لأول مرة لم أهتز!! وفيما كنت أضغط الحقيبة أكثر، انتبهت لاهتزازات خفيفة بمياه النهر تعلن عن اقتراب مركب من ورائي. أبى هو الأخر يقترب، صياحه يعلو ملتاعاً، قذفت الحقيبة بثبات نحوه فلم يتلقفها، بل سقطت بجواره، فيما ظهرت بمحاذاتى ثلاث نخلات صدفية لامعة، ومن ورائها ظهر وجه وائل يبتسم وهو يمد يده نحوي.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

من ديوان المظالم

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

يبدو أن النور قد انقطع، فالظلام حالك، وما من صوت أسمعه! هل أنا وحدي- ماما.. ماما..

أنادى مراراً ولا أسمع سوى رجع صوتي، أتكئ على الجدران وأتحسس طريقى نحو غرفتها، فأجد فراشها خالياً، أمشى من غرفة إلى أخرى فأجد البيت كله خالياً.

- إلى أين ذهبت؟

أنزل الدرج مسرعة بفضل بصيص من ضوء كضوء القمر، ربما تكون قد خرجت لشراء بعض الطلبات، ربما فاجأها انقطاع تيار الكهرباء فتوقفت حيث هى فى انتظار عودته، ربما هى تحتاجنى الآن أكثر مما أحتاجها، فنظرها ضعيف، رغم النظارة التى لا ترفعها عن عينيها.

بمجرد أن خرجت من البوابة لم أجد شيئاً، اختفى الشارع الذى أعرفه بدكاكينه المضيئة، وبصخب سكانه وعابريه، ولم أجد سوى الظلام، تحسست طريقى خشية أن أهوى. صوت غريب يشبه عواء كلب يحتضر يخترق أذني، أتلفت، فلا أرى. خائفة، أفكر فى الرجوع، أستدير، فلا أجد البوابة ولا البيت، لا شيء سوى ظلام كثيف أفقدنى اتجاهي،لا يمكننى أن أقف مكاني، لن..

على الجانب يظهر ضوء شاحب ثم يختفي، أقترب بحذر، أتحسس شيئاً فيبدو كأنه جدار دهليز ينتهى بباب، أدفعه فيندفع النور بعينيّ وتظهر الشمس ساطعة بقلب السماء، تضيء بيتاً مألوفاً. هذا بيت جدي، لكنه يبدو مختلفاً بعض الشيء، أستند على الجدار فتظهر الأرانب بعيونها

fb/mashro3pdf

الحمراء تركض فى صحن الدار، وفى الحوش تظهر العنزات والجديان منهمكة فى التقاط العيدان من كومة برسيم مصدرة ثغاءً رقيقاً. أشم ما يبدو أنه رائحة فطير مشلتت نافذة من هناك.. من غرفة الخبيز، أقترب فأجد بابها مفتوحاً، أرى جدتى وجاراتها قد ملأن الدنيا بالفطائر، تجاورها صحون الجبن والقشدة.

- كل ده يا جدة!

- على الله يكفى يا بنيتي.

أقترب فتضع قطعة من جبن لذيذ بفمي، وأخرى فى يدي. ينبعث صوت غناء بالخارج، أعدو فأرى هودجاً تقوده ناقة صهباء رشيقة بعيون عسلية دامعة، تتوقف وتنظر نحوى وهى تنخ على الأرض، أقرب من فمها يدى فتلتقط بلسانها قطعة الجبن وتأكلها، ثم تنظر نحوى ممتنة. أرى شيخاً أشيب الشعر، ذا طابع حسن فى وجهه، ينزل من فوق ظهرها، هو جدى الذى سيموت هو وجدتى فى فراشهما - بعد ثلاثة أيام - متأثرين بوباء أنفلونزا موسم الحج. جدى يبدو مسروراً فى هذه اللحظة وهو ينزل من على كتفه مخلاته العامرة بأصواف وعباءات مكية مطرزة، وقرب ممتلئة بماء زمزم، يوزعها على الأهل والحبايب الذين أتوا لتهنئته بسلامة العودة. يأخذنى من يدى ونغنى ثم نتبادل الغناء والرقص مع من حولنا:

شـــدينا المطيـــة لخـــير البرية
نـــور المدينـــة كحـــلة عنيـــة

تظهر جدتى حاملة فطائرها، تعانق جدي، وتربت وجه الناقة ثم

fb/mashro3pdf

توزع الفطائر بفرح، فيلتهمها الأهل بتلذذ، تبتسم جدتى ثم تنفض يديها متمتمة بحمد الله ثم تتراجع بحيث يكون المشهد كله فى مجال رؤيتها، تتنهد بارتياح ثم تبتعد فيلحق بها جدي، أعدو وراءهما. تستوقفنى بقبلة على خدى الأيمن، ثم تقبلنى على خدى الأيسر موصية: روحى اعط هذه لأمك. ألمح جدى يشير، بقلق، إلى الناقة ثم يبتعدان حتى تصدهما صخرة عظيمة، يدقها جدى بيده صائحاً:

- افتح ياا سمسم.

فتنشق الصخرة إلى نصفين، يعبران من بينهما ويختفيا، عندما أصل يكون النصفان قد التحما، أناديهما فلا أسمع سوى رجع صوتي، أصيح، عالياً، مقلدة جدي: افتح ياا سمسم. وما من استجابة.. إلى أين ذهبا؟ ألتفت فلا أجد الناقة ولا الهودج ولا الأهل ولا.. أحدا.

تنسحب الشمس وراء الأفق، ثم يختفى الضوء بغتة ويهبط الليل كثيفاً.

أجد نفسى داخل الدهليز المعتم مجدداً، عاجزة عن الرجوع إلى البيت، ولكن فى أى يوم أنا؟ يصدم أذنى أنين خافت. أتلفت، أقترب من الصوت فأرى عجوزاً مستلقية فوق الأرض وعلامات الألم تملأ وجهها، تتوسلني:

- أنا جائعة. أطعمينى يطعمك الله.

لا أجد معى طعاماً ولا مالاً ولا شيئاً أمامى لأشتريه لها... أفكر بفطير جدتي.. ليتنى احتفظت بقطعة، أجيبها:

fb/mashro3pdf

- أنا آسفة. والتفت لأمشى فأحس بشيء يقبض على ذيل فستاني، أنظر فأرى يدها فأصيح:

- اتركى فستاني. لا تخيفيني.

أتراجع دون أن تكف نظراتها عن الاستنجاد بي. أقترب وأهدهد كتفها، فتقول:

- ساعديني.

يصيح صوت فى داخلي: لا. أنا أود إنقاذها، لكننى أرغب أكثر فى أن أعود لأمي، وفيما أنا أبتعد ألمح وراءها وجوهاً أخرى -لا تبدو غريبة غير أننى لا أتذكر متى أو أين التقيتها؟ - يطل من أعينها نفس التوسل. أتوقف حائرة، تخطفنى لوهلة قصيرة ذاكرة مضببة لحياة بعيدة. ومواقف تعاملت فيها باستخفاف ولامبالاة فأشعر بالخزي، تشير إلى العجوز بأحد الاتجاهات مؤكدة أن الطعام هناك، فأتقدم حسب إشارتها، فيظهر رجل ضخم يدفع عربة أمامه، أقترب فتزحم أنفى روائح صنوف الأطعمة الشهية التى تكتظ بها، أحيى الرجل فيبتسم برقة، أستأذنه أن آخذ شيئاً للعجوز تسد به رمقها فلا يقل شيئاً، أحاول التقاط رغيف فأفاجأ به يصدر جئيراً مخيفاً ثم يرفع كفيه، يدفع بإحداهما شفته العليا لأعلى، وبالأخرى يدفع شفته السفلى لأسفل، كأنه يقشر وجهه. يصيبنى الذعر لرؤية الوجه الدميم غير الآدمى من تحت قناعه فأصرخ، ينتفض غاضباً ويدفعنى ويوقعنى ويكشر عن أنياب طويلة فى وجهه الوحشى وهو يركلنى ثم يبتعد بعربته ببرود. أنا جريحة فى جسدى وفى كبريائي، أشعر بالخجل من أن أعود خاوية الوفاض، أتحامل على

fb/mashro3pdf

نفسى وأنهض. أعود منكسة الرأس فلا أجد العجوز، ولا من كن وراءها.. قلبى يدق بسرعة وأنا أغير اتجاهي.. إلى أين؟ لا أعرف، فما من فرق بين اتجاه وآخر فى هذه العتمة.

من بعيد يظهر ضوء متقطع كالكشاف الكهربي، أركض، أقترب بحذر فأجد قدمى فوق عتبة تصبح زرقاء بمجرد أن تدوسها قدمي، أعبرها فأجدنى داخل غرفة واسعة مليئة بالأسرة كأنها عنبر بمستشفى يعبق بالرطوبة وبروائح مكمكمة وغير مستحبة، تشير إليّ شابة صغيرة بشعر مجعد ووجه يميل للاصفرار:

- أريد دوائي. لا تتركينى أموت.

أسمع أصوات باقى المرضى يكررون نفس الرجاء، وأحس أيضاً بأن وجوههم ليست غريبة، لكنها معذبة، لا أريد أن يموت أحد. أعدو وراء امرأة ترتدى ثياب الممرضات تخرج من أحد الأبواب المقابلة، يدق كعب حذائها العالى الأرض وهى تدفع عربة معدنية صغيرة مكتظة بالمطهرات وندف القطن، أرجوها أن تعطينى الدواء فتخبرنى أنه ليس لصاحبة الشعر المجعد. تشير الشابة إليّ من فوق سريرها بأنها كاذبة. أرى العلب الصغيرة تترجرج فى جيب معطفها الأبيض، أقترب وأحاول اختطاف علبة فتنهرنى ثم تشرع فى الانقضاض عليّ بإبرة طويلة مخيفة وهى تضحك بهستيرية فيسقط عنها ثوب الممرضات وتظهر حقيقتها المعدنية المخيفة:

- خذى هذه. لك ما تريدين.

fb/mashro3pdf

أنجح فى الإفلات من الابرة، ثم أجرى بكل ما بى من عزم وأختبئ وراء أحد الجدران حتى يختفى الكائن المعدني، ثم أعود فلا أجد الشابة المريضة ولا العنبر، ولا شيء سوى الظلام. يخترق صوت خافت أذني، ثم يقوى تدريجياً، أميز فيه حنين الناقة، بنبرتها المتألمة التى توجع قلبي، أتلفت باتجاه الصوت لكنه يأتى فى كل مرة من اتجاه مختلف، ثم يختفى تماماً، لا أعرف ماذا يمكننى أن أفعل. أغمض عينيَ وأفكر بأمي.

ببطء أمشى متحاملة على نفسي. متعبة وخائفة وجائعة، أستند بكفى على الجدران، وبعد عدة خطوات أشعر بسائل يعلق بيدي، أقربها من عينى وأنفى فيداخلنى الشك بأن هذا السائل قد يكون دما، أقترب من الجدار وأدقق النظر فأرى آثاره متتالية فأتتبعها حتى تصل بى إلى بوابة، أتردد فى عبورها خشية أن أجد نفسى فى مأزق أسوأ مما أنا فيه، لكن خوفى على ناقة جدى يعذبنى فأدفع البوابة وأجدنى عند بهو نصف مظلم يتوسطه مبنى أثرى من طراز فريد تحيطه صخور مصقولة، تتكثف عندهاالرائحة، أتبعها بالدوران حول المبنى حتى تصدم عينى برؤية الناقة جاثية على الأرض يشكل دمها دائرة حولها، أصرخ: إنها لم تؤذ أحداً، وكانت تعطينا حليباً طيباً. فيظهر رجل ملثم حاملاً سيفاً يتابع ذبحها، أحاول منعه وأصرخ، توقف، لكنه يسترسل فيما يفعله كأنه لا يرانى ولا يسمعني، أنقض عليه، ألكمه غاضبة، فيسقط لثامه ويتمزق فى يدى كشيء هش، ويظهر وجهه تالفاً ذا عينين مخيفتين. يلوح بسيفه فى وجهي، أعدو مذعورة فيلاحقني، وينقض عليَ، يُسمع صوت صاخب عند الناقة ويظهر رجال يقسمون الغنيمة، فيتركنى ويسرع عائداً، أنهض وأودع الناقة بنظرة أخيرة و..

fb/mashro3pdf

هل أنا فى نفس الدهليز المظلم؟ أجثو على ركبتيّ وأصيح باسم جدى وأبكى بكاء مريراً....

ولكن كم من الوقت مر وأنا على هذه الحال؟ ساعة أم سنة؟ وهل أنا بالفعل وحدى أم أن هناك من يراقبنى من مكان قصى ويستمتع بإذلالي؟ أنهض وأجر قدميّ. أستأنف المسير حتى تلمس كفى عموداً معدنياً، أكتشف بعد أن تعتاد عينى الظلمة أنها قضبان ينحبس وراءها شاب لا أميز سوى عينيه اللامعتين، يستنجد بي،

- ساعدينى ساعديني.

أنظر له متدهشة وعاجزة، فيشير إلى رجل باعتباره «السَجان»، إلى جيبه تحديداً، أنسحب بحرص وأخطف المفتاح من جيبه دون أن يحس بي، وأقذفه للشاب، فيفتح ويخرج، ونجرى مبتعدين، يأخذ يدى فى يده فيغمر الدفء روحي، نسمع تغريد طائر، يتوقف ويخرج من جيبه حفنة من الحبوب، وفيما يقترب الطائر ويلتقطها من كفه المفرودة، أسمع صوته الدافئ يقول: إنها كائنات وديعة لا تؤذى أحداً. أهمس: ولكن لمَ يؤذى الناس بعضهم البعض!؟ أسأله عن سبب حبسه فيجيب: إنهم يكرهون من يحبون الحياة. أسترق النظر نحوه فأحس بألفة تمنحنى يقيناً بأنى عرفته من قبل، ربما كان زميلى فى مقاعد الدراسة، ربما أحببته فى حياتى الأولي، أو فى أحد أحلامي، يحلق الطائر مبتعداً فأنتبه، وأتذكر بغتة الناقة المغدورة والعجوز الجائعة والشابة المريضة وبقية من تركتهم وراءي، فأبكى وأحكى له عنهم، عن سعيى اليائس لإنقاذهم، عن عدوى المحموم دون جدوى، يصغى لى بانتباه ويكمل ما يتساقط

fb/mashro3pdf

من حكايتى فأتبين أنه يعرف كل ما أعرف. أتبين أننى أحبه منذ فترة أعجز عن تحديدها، أنظر فى عينيه فأشعر أنه يحبنى أيضاً. أحس بنفسى أكبر. يستوي.فى حضوره. الظلام بالنور. وأشعر بأن الوجود كله يحط فى راحة يدى عندما يطمئننى حبيبى بأننا سنفعل، هذه المرة، ما يتوجب علينا فعله. نلتفت ونعود بحذر، لكن يفاجئنا السجان خارجاً من أحد الشقوق الخفية. يلحق بنا وقد تجلى التشابه فى الملامح بينه وبين قاتل الناقة وسارق الطعام ومختلسة الدواء، يضرب حبيبى بشومة على رأسه، فيسقطه أرضاً، ويستمر فى ضربه، ويبدأ الدم يخر من رأسه، أصرخ وأحاول انتزاع الشومة من يده فأخفق، يستمر فى ضربه ولا يعبأ بالدم يخر من جسده، أصرخ: لا تقتله. لا تخرجه من حلمى فأنا أحبه. يرعد غضباً ويضربنى بنفس الشومة، وأحس بسائل دافئ ينزلق فوق وجهي، تنكسر الشومة، يغرس نصلها الحاد فى ذراعي. ذراعى تؤلمني، والرؤية تتراجع عن عيني. تؤلمنى ذراعى أكثر وطعم الدم يملأ فمي. أمد يدى وأجذب النصل المؤلم، أجذب، أجذب.. فأسمع صوت أمى متلهفاً:

- هه! حمدلله على السلامة.

من بين جفنى الثقيلتين رأيتها تخرج من الباب تنادي: يا دكتور. أحرك بؤبؤى عينى فأرى إبرة جهاز المحلول الوريدى فى ذراعى المتألمة وعلى الحائط المقابل عُلقت صورة لوجوه يانعة يتوسطها وجه الشاب ذى العينين اللامعتين، وقد كتب تحتها: الورد اللى فتح فى جناين مصر.

fb/mashro3pdf

بُن للحجة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

تأخرت كثيراً ولا أريدها أن تغضب مني، هى بالذات لا أقدر على غضبها، خاصة أنها ستتصور أنى صرت أهتم بطلبات «نبيلة» وحدها، والمشكلة هى أننى بالفعل كذلك، لنقل مثلاً بنسبة ٩٩٪، وكيس البن هو الواحد بالمائة المتبقية للحجة، ثمن كيلو بن محوج أحسنها تحويجة، لا يساوى المصروف اليومى للأولاد، باختصار.. ولا حاجة، مع أن الأمر من جهتها يبدو مختلفاً، فبدون أن تعلم أنى فى طريقى إليها أجدها دائماً فى انتظاري، تخبئ لى الكبدة والأونصة «حوائج الفرخة»، من يوم ما طلعت لى أسنان تخصنى بهما، هذا غير قالب «سكر النبات» وكأنى مازلت صغيراً تصر أن تضعه، بيدها، على لساني، ولا شيء فى الدنيا يفرحها مثل ابتسامتى فى هذه اللحظة عندما تذوب الحلاوة فى فمي، أما كيس البن، فيمنحها إحساساً بأنى رغم كل شيء «مشاغلى وأعبائى» لم أنسها، عندئذ تلمع عيناها بتلك بنظرة لا أراها فى عين أخرى، نظرة ممتنة، حامدة شاكرة. كأنى أهديها ذهبا وليس «شوية بن»! تحبنى أكثر من أبي، أشعر دائماً بذلك، هو صاحب الفضل، قدم لى كل شيء، غير أن ما قدمه هو شيء من كثير، بعض ما لديه؛ هى قدمت أكثر، حتى لو لم يبدُ على السطح سوى قالب سكر النبات؛ نبيلة هى أيضاً تقدم الكثير، بصراحة تركت كل شيء على كاهلها، أنا فى شغلى وفى عالمى وهى تدير شئون الحياة.. البيت والأولاد، لكن عطاء الحجة مختلف، فأبى يعطينى ويريد بالمقابل ألا أخذل أحلامه بخصوصي، نبيلة تعطينى وتريد الكثير فى المقابل، الود ودها أكون «خالص مخلص» لها وحدها، بينما الحجة وحدها تعطينى كل ما لديها ولا تنتظر شيئاً، تمنحنى شيكا على بياض، لذا أحرص على جلب البن كى تعرف أنها فى بالي، ثمن كيلو يفرحها فتمطرنى بدعوات، تطيب لها نفسى أكثر من أى شيء آخر، لذا أطخ المشوار وأنا راض حتى طاحونة

fb/mashro3pdf

الفيشاوى فى آخر الدنيا، فأشتم رائحة تحميصه وطحنه ثم تعبئته فى الكيس وهو لم يبرد بعد، لأجلها أحتمل طول لسان «يوسف القلش» الذى لم يدعنى مرة أعود دون أن يسمعنى تندره:

- طب كنت خدلها كيلو على بعضه بدل الشح بتاع أهلك ده!

كيلو يا ابن الأبالسة! ما أنا حيا الله موظف، قال عد غنمك يا جحا.. من غير ما أعد، أهى واحدة «نايمة» وواحدة «قايمة»، لست مثلك وارثاً مطحنة تساوى الشيء الفلانى وقاعد أتسلى على خلق الله. هو يعرف «البير وغطاه»، لكن ما يغيظه هو أنه يحسبنى آخذ البن لامرأة من زميلاتى فى الشغل، ويموت حسداً نظراً لقلة حظه مع النساء، وأنا أستمرئ غيظه بضحكة عميقة:

- أبوها راضى وأنا راضي.. مالك ومالنا إنت يا قاضي!

أودعه بضحكة بينما أردد فى سري: الصيت ولا الغنى. لا أصارحه بأن: أيام الشقاوة ولت، ومن ستر ربنا إنه لايعرف نبيلة، شاهدة الإثبات الوحيدة على إن دوام الحال من المحال وإنى عجزت على الشقاوة، ويبدو أن هذا ما يجعلها تشد حيلها فى التندر عليّ:

- اللى واخداه القرعة تاخده أم الشعور.

تقولها بقلب جامد إذا أطلت فى الكلام مع إحدى البائعات فى السوق كى أستنفر غيرتها. آاه من غيرتها! آاه. الحجة نفسها كانت تلومنى عندما تراها غاضبة، تقول:

- أمك معلش. لكن مرتك مش هتتحمل دلعك الماسخ ده.

بل يصل بها الأمر إلى العبوس فى وجهى إلى أن أصالح نبيلة، مع أنها عادة ما كانت تودعنى بعبارة:

- ربى يا خايبة للغايبة.

fb/mashro3pdf

ثم أحجمت عنها بعد وفاة أبى ووقفة نبيلة الشهمة معها. صارت تخجل من نطقها لكنى أقرأها فى عينيها. إشتريت البن ليلة «إمبارح»، فأين هو؟ لابد أن تكون نبيلة وضعته فى أحد الأدراج. داء فيها الست نبيلة إخفاء الأشياء كى لا يبدو البيت مبهدلاً. لكن ركبتى تؤلمني، لم تعد تحتمل القيام والقعود، نبيلة أصغر منى وصحتها أحسن..

- نبيلة. يا نبيلة.

الآن ستأتى غاضبة وتمطرنى بوابل تأنيبها؛

- عايز إيه يا خويا؟ انت مابتبطلش طلبات!

تعبك قوى أنى أستريح شوية!

لسانها حافظه صم، بس عارف ان قلبها طيب،

- نبيلة.

لكن من هذه التى أرسلتها بدلاً منها؟

- أيوة. عايز حاجة؟

أبحلق فى ملامحها ولا أتذكر أنى رأيتها من قبل. أهمس بحرج؛

- لامؤاخذة.. أنا عارفك طبعاً بس يعنى الإسم.. مش انتى بنت إبراهيم ...

ولكن لماذا تنفجر فى الضحك؟

- إيه يا بابا؟ أنا غادة بنتك. نسيتني؟

- هه! غادة!

يا مصيبتك السودة يا «نبيه»! نسيت بنتك! لملمت روحى التى تبعثرت وابتسمت؛

- معلش يا غادة أصلك متغيرة شوية. إنتى قصيتى شعرك؟ مش كده؟

ابتسمت بارتباك وهى تلملم شعرها المنساب فوق ظهرها ثم تأتأت؛

fb/mashro3pdf

- أأ..آه.. يعني..

تمالكت نفسى وقلت أتجاوز هذه الجزئية الغبية حتى لا تتضخم ويتداولونها فى البيت بإشفاق كأني.. عجزت وخرفت. قلت لنفسي:

- عادى يا واد يا نبيه.. كل الناس بتنسى. إجمد. إياك تظهر ضعيف قدامهم.

ركزت فى سبب ندائى فتذكرت:

- طب شوفيلى يا ست غادة أمك ودت فين الابن اللى جبته ليلة امبارح من عند يوسف القلش؟ بسرعة عشان عايز ألحق أوديه للحجة قبل الدنيا ما تليل.

ولكن لماذا تحملق بى على هذا النحو؟ لماذا تضرب كفاً بكف؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله! يا بابا أمى وجدتى ويوسف القلش كمان.. كلهم.. من زمان.. ربنا يرحمهم. تعيش وتفتكر يا حج.

صدمتنى المفاجأة وأحسست بجبل ضخم كنت أعتلى قمته ينهار كحبات الرمل، وبصعوبة سألتها والدنيا تدور بي:

- إزاى الكلام ده كله يحصل وأنا ماأعرفش!

كادت تضحك ثم توقفت، وقالت بإشفاق:

- ماتعرفش إيه يا راجل طيب!

ولكن متى؟ وكيف؟ كيف هان عليهما أن ترحلا وتتركانى وحدي!! انتبهت على صوتها:

- مش تقوم بقى نغير البامبرز؟

رددتُ فى نفسى متلعثماً: بام..بامبرز؟ لمن تقول هذا الكلام؟

تلفتُ فلم أجد بالغرفة سواي.

fb/mashro3pdf

قطوف نائية

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

شمس ساطعة، ذهبية ودافئة، ورود فى كل مكان، أنهار من الشهد والعسل، أمد يدى فأجد أجمل وأندر الفواكه قطوفاً دانية، هل أنا فى الجنة!!؟

تأتى صيحة متوترة:

- لا لا، بل أنت فى مستشفى المجانين. أنت مجنونة ترين الغبار عسلاً وترين الأحجار ذهباً.

أصرخ غاضبة:

- مجنونة!! لكن صرختى تخرج بلا صوت.

تأتى صيحة ثانية مختلفة:

- لا أنت لست مجنونة، لا تصدقى المجنونة التى تحدثك، بل أنت فى قبرك. أنت ميتة، ولم يبق منك شئ حى سوى هذه المخيلة العصية على الموت، وبسببها سيحكم عليك ملكا القبر بالعذاب الأبدي، هيا اقتليها، اقتلى هذه المخيلة قبل أن يصلا.

أهمس بمرارة:

- إذا كانت هى الشيء الوحيد الحى فى فلن أقتلها، حتى لو ... قادتنى إلى جحيمي.

تأتى صيحة ثالثة:

- لا لا، أنت لست ميتة، لا تصدقى الميتة التى تحدثك، بل أنت فى الغيبوبة، وبعد فترة سيطلب أولادك من الأطباء رفعك عن جهاز التنفس الاصطناعي، سيقتلونك كى يرثونك.

fb/mashro3pdf

أصرخ:

- لا أنت كاذبة، فليس لديّ أولاد، لا أتذكر أن لديّ أولادا، فأنا صغيرة، شابة صغيرة لم أتزوج بعد، وليس لديّ ثروة ولا يحزنون.

صيحة ثالثة تسترسل بثقة:

- إفهمي. أنت فى الغيبوبة ولا تتذكرين شيئاً، وبعد قليل ستكونين ميتة.

أحس، مع رنين كلماتها الواثقة، بألم فى مكان ما، ربما فى رأسي.

تأتى صيحة رابعة: لا تصدقى الكاذبة التى تحدثك، أنت لست فى الغيبوبة، بل أنت مخدرة، وبعد قليل ستفيقين، لكن بينما أنت تحلمين الآن بأنهار العسل ومرافئ الجنة سيجرون هم جراحة دقيقة لك.

- هه! ولكنى لست مريضة!! فقط متألمة فى مكان ما بجسمي.

تعود صيحة رابعة:

- الأمر لا يعدو أكثر من انتزاع فص صغير جداً من دماغك، وبعد قليل سيجرونك إلى غرفة الإفاقة، وستجدين نفسك حية، تتنفسين وتأكلين. تمشين وتنامين، عدا ...

أهمس: عدا ...؟

تعود صيحة ثانية:

- ألم أحذرك! هيا اقتلى هذه المخيلة العصية بيدك بدلاً من أن تتفرجى على ملكيّ الموت وهما يحددان الجحيم مصيراً لك.

fb/mashro3pdf

صيحة رابعة :

- لا تصدقيها، ليسا ملكى الموت، بل طبيبين سيستأصلان مخيلتك بمشارطهما، و... إذا كنت لا تصدقيننى فافتحى عينك سترين أنكِ فى غرفة عمليات جراحية.

أهمس :

- كيف أفتح عينى وأنا مخدرة؟

صيحة ثالثة :

- إنقذى نفسك. هيا

صيحة رابعة :

- على أى حال فبعد الجراحة كل شيء سيكون على ما يرام، لأن استئصال فص صغير لا يعنى شيئاً.

أهمس :

- نعم، فص صغير، ولكن.. ما قيمة أن أمشى بدون جناحين يحملانى إلى عوالم تعجز قدماى عن الوصول إليها! ما قيمة أن آكل أو أشرب دون أن أحزر دفق الماء فى النهر وانزلاقه ليروى الأرض حتى تتفتق البذرة ثم تتشعب الجذور وترتفع الساق إلى أعلى حتى تخرج ثمرة الجوافة التى ستنزلق بذرتها فى أمعائى لتسد زائدتى الدودية وقد تكون أحد مبررات وجودى هنا الآن! ما قيمة عينى إذا لم أجرؤ على كتابة هذا النص المشعوذ!!

تمت.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

▪ السيرة الذاتية

الروائية والقاصة المصرية

عـزة رشـــــاد

- الاسم: عزة محمد رشاد على
- تاريخ الميلاد: ١٥ سبتمبر ١٩٦١
- محل الميلاد: محافظة الشرقية / مصر
- الوظيفة: طبيبة «استشارى طب الأطفال بمستشفيات مديرية الصحة بالشرقية».
- الإبداعات الأدبية:
- ذاكرة التيه رواية دار ميريت ٢٠٠٣
- أحب نورا.. أكره نورهان مجموعة قصصية دار شرقيات ٢٠٠٥
- ذاكرة التيه رواية طبعة ثانية مكتبة الأسرة ٢٠٠٧
- نصف ضوء مجموعة قصصية دار هفن ديسمبر ٢٠٠٩

تحت الطبع:

- جنة رضوان: رواية، دار نشر «الكتب خان».

fb/mashro3pdf

الترجمة:

- ترجمت قصصا من مجموعة: أحب نورا.. أكره نورهان للإنجليزية بمجلة «بانيبال» اللندنية فى عددها الثلاثين.
- حصلت على جائزة الدولة التشجيعية فى الأدب فرع القصة عام ٢٠١٠
- عضو بالمجلس الأعلى للثقافة «لجنة القصة» منذ عام ٢٠١١
- عملت مديراً لتحرير مجلة «الرواية قضايا وآفاق» خلال عامَيْ ٢٠١٠، ٢٠١١

fb/mashro3pdf

الفهرس

لماذا هذا الكتاب ٥
تقديم ٧
الياسمين الشائك ١١
عن ترميم الأحلام ٢٥
ضباب ٣٥
عن النجوم البعيدة ٤٧
غزوة الأزرق ٥٧
شجو اليمام ٦٧
لو أنك وردة ٧٥
من ديوان المظالم ٨٥
بن للحجة ٩٥
قطوف نائية ١٠١
السيرة الذاتية للمؤلفة ١٠٧

fb/mashro3pdf

إذا وجدت أى مشكلة فى الحصول على

كتاب اليوم

وإذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات

فلا تتردد فى الاتصال بنا على أرقام

25784444 - 25948223 - 25948224

أو على

kitabalyom@gmail.com

تليفاكس : 25948223

25784444

fb/mashro3pdf

رقم الإيداع: ١٧٩١٠ / ٢٠١٣

الترقيم الدولى I . S . B . N

978 - 977 - 08 - 1605 - 9

fb/mashro3pdf